صوت الصعاليك
مجلة عراقية إغبارية إلكترونية
Alsaalek Journal
سياسية ثقافية فكرية

على حافة الرصيف

شهد العراق فجر يوم 28 حزيران، حملة أمنية واسعة وغير مسبوقة استهدفت سياسيين ونواباً ومسؤولين حكوميين حاليين وسابقين على خلفية ملفات فساد مالي واستغلال النفوذ، مع تركّز العمليات في المنطقة الخضراء ببغداد .

إذا نظرنا إلى الحدث من زاوية المتابع للمشهد السياسي العراقي إعلامياً، فهناك عدة نقاط أساسية:

التقارير تتحدث عن "حجم العملية" لعشرات الموقوفين، مع تقديرات تراوحت بين أكثر من 20 شخصية سياسية ومسؤولاً، وصولاً إلى 47 شخصاً بحسب مصادر حكومية وإعلامية دولية. من بين الأسماء المستهدفة نواب في البرلمان ومسؤولون كبار في مؤسسات الدولة .

كيفية التنفيذ: فقد أُغلقت مداخل ومخارج المنطقة الخضراء لساعات، ونُفذت مداهمات متزامنة لمنازل ومقار شخصيات نافذة. فيما شاركت في العملية قوات خاصة وأجهزة أمنية نخبوية، ما يعكس ان قراراً سياسياً على أعلى المستويات قد أتخذ وليس مجرد إجراء قضائي روتيني. لكن، أغلب الروايات تشير إلى أن الحملة استندت إلى اعترافات وتحقيقات مرتبطة بملفات فساد في قطاع النفط وأموال الدولة، وأن بعض الموقوفين وردت أسماؤهم خلال تحقيقات سابقة. أدت إلى رفع الحصانة عن بعض النواب قبل الملاحقة القانونية .

على المستوى الشعبي، ظهر ترحيب واسع على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث اعتبر كثيرون أن الحملة تمثل بداية لمحاسبة شخصيات كانت تُعد "فوق القانون". في المقابل، لا تزال بعض القوى السياسية تتعامل بحذر، لأن الحملة قد تعيد رسم موازين القوى بين الكتل والنخب المتنفذة .

التقييم السياسي: من المبكر الجزم بأن ما يجري يمثل تحولاً جذرياً في ملف مكافحة الفساد. تاريخ العراق خلال العقدين الماضيين شهد حملات مشابهة انتهى بعضها إلى تسويات سياسية أو أحكام محدودة. لكن ما يجعل هذه الحملة مختلفة نسبياً هو: استهدافها شخصيات ذات ثقل سياسي وبرلماني. تنفيذها جاء بشكل مفاجئ ومتزامن. اقترانها بخطاب حكومي يتحدث عن تفكيك شبكات فساد وليس مجرد ملاحقة أفراد .

السيناريوهات المحتملة: إذا تبعتها لوائح اتهام واضحة ومحاكمات علنية واسترداد أموال فستُعد أكبر ضربة لشبكات الفساد في العراق منذ سنوات. أما إذا توقفت عند الاعتقالات الأولية أو تحولت إلى صراع بين أجنحة سياسية، فسيعتبرها كثيرون مجرد جولة جديدة في المنافسة على النفوذ .

وعلى صعيد ردود الفعل الخارجية على المستوى الاقليمي والدولي ـ وهل ما حدث تم بسبب تاثير خارجي ـ مِن مَن وكيف؟.

من المبكر جداً الحديث عن ردود فعل إقليمية أو دولية رسمية واسعة، لأن الحملة بدأت منذ فترة وجيزة، وحتى الآن يتركز الاهتمام الخارجي على فهم من تم اعتقالهم وما إذا كانت الحملة قضائية حقيقية أم جزءاً من إعادة ترتيب المشهد السياسي العراقي. لكن إذا حللنا الموضوع بمنطق الجيوسياسة، فهناك عدة أطراف تراقب ما يجري باهتمام: فالولايات المتحدة قد تنظر بإيجابية إلى أي حملة تضرب شبكات الفساد المرتبطة بتهريب الأموال أو النفط، خصوصاً أن بعض الأسماء المتداولة في التحقيقات سبق أن ارتبطت باتهامات تتعلق بتحويل النفط أو الأموال إلى جهات مسلحة موالية لإيران.. اما الجمهورية الإسلامية، ستكون من أكثر الأطراف متابعة للملف إذا ثبت أن الحملة تستهدف شخصيات أو شبكات قريبة من القوى المنضوية في "الإطار التنسيقي" أو من الفصائل المسلحة المتحالفة معها. في هذه الحالة قد تعتبر طهران أن القضية ليست مكافحة فساد فقط بل إعادة توازن للنفوذ داخل العراق .

الخلاصة: الحدث كبير فعلاً وفق المعايير العراقية، لأنه طال للمرة الأولى خلال فترة قصيرة هذا العدد من السياسيين والمسؤولين في عملية واحدة، لكن الحكم على نجاحه يتوقف على ما سيظهر خلال الأيام والأسابيع المقبلة من أسماء رسمية، وأدلة قضائية، وأحكام فعلية، وليس الاعتقالات وحدها. دون أن تشمل شخصيات من كتل مختلفة ـ شيعية وسنية وكردية في حكومات سابقة.

المحرر

Alsaalek Journal

"مجلة صوت الصعاليك"
سياسية ثقافية فكرية
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها
والتحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com
info@alsaalek.de

ساهم معنا في نشر الحقيقة

صوت الصعاليك

SAJ.Sawt Alsaalek Journal
www.alsaalek.de

متابعات

”شهرزاد وحكاية فلسطين“ و بندقية ـ عمر ابن الجيران

د.سناء شامي *

بُشرى للجميع، الفرج قريب. بُشرى تأخر زفها مئة عام، لكن بعض الوقت و سيصبح وصولها قريب. لكن الفرج لا يعني النصر، ففي كتب ألف ليلة و ليلة الفرج يعني أن تخدع شهرازاد الملك بذكائها و قصصها التي لا نهاية محددة لهم، فينام السلطان هانئا، و يستيقظ في اليوم التالي متشوقا لمزيد من روايات شهرزاد... و ينتظر الليالي ليتمتع ببقية الحكايا، فالسلطان يخّدر نفسه و الرعية بجمال القول و الشكل، و بطرب العود والرقص، فلا جهد يبذله لمعرفة حقيقة ما ترويه شهرزاد، لأن السلطان يعرف بأن فلسطين قد تم بيعها منذ مئة عام، و حتى قبل أن تُفبرك لتصبح قضية، و بأن شهرزاد من خلال قصصها حوّلت حكاية فلسطين لقضية ترويها بالتقسيط من باب التشويق...

السلطان يعرف بأنه منذ أواخر الخلافة الأموية، كل التغيرات صارت برعاية اسلامية- فارسية و يهودية ذات أصول أجنبية... و بعد إنهيار الدولة العثمانية، إستمرت شهرزاد بالسرد و إصقال القصص، حتى وصلنا للعصر الحالي و إتضح للرعية بأن السلطان كي لا يخسر سلطانه باع فلسطين و صار لقبه رئيساً، و بأن شهرازاد أخفت الكثير من فصول القصة الحقيقية، و بأن عرب اليوم، المسلم منهم ذو الأصول اليهودية أو الفارسية أو ذو الأصول العربية المسيحية، جميعهم منذ مئة عام، عملوا من أجل الصفقة و صفقوا بالسر للصفقة... اليوم شهرزاد كي لا يقتلها السلطان، فهي تُشارك بإتمام الصفقة، تحاول وضع سيناريوهات لمساتها الأخيره و تعمل بجهد كي تكتمل... بعض الوقت و ستظهر نتائج الروايات... و شهرزاد ذو الحنكة و الدهاء تعلم جيدا بأنه في السياسة، العبرة في النتيجة، و نحن يكفينا أن نقرأ في كتب التاريخ كي نفهم بأن الفرج ليس إلا خاتمة من إخراج شهرزاد... دامت لياليكم ود مُتّم سالمون و مسالمون.

”عمر و بندقيتنا الخشبية“

عندما كنّا صغار، كنّا نلعب لعبة العدو والصديق، فكان عمر ابن الجيران يصّوب قطعته الخشبية نحونا كبندقية و يركض وراءنا ... أما نحن المجموعة الصديقه نحاول الإلتفاف حوله كي نأخذ من بين يديه البندقية الخشبية... و تطول اللعبة و تُصبح مملة و نتعب منها ، ثم نتخلى عنها و نضحك فرحين فقد حان إخراج الحلوى من الجيوب للتلذذ... نجلس مع ابن الجيران عمر الذي يضع بندقيته الخشبية جانباً و نبدأ معا بتلذذ السكر ناسين تمثيلية حربنا الدامية معه... لم نكن ندري بأننا كنّا نلعب لعبة العرب مع الصهيونية.

«صوت الحقيقة»

أفنان علي

خمسون ثانية... وامرأة عراقية جائعة نسفت إمبراطورية الكذب من جذورها!
امرأة عراقية أنهكها القهر، خرج صوتها من تحت ركام الجوع والخذلان، لا رتوش تخفي الحقيقة، ولا مكياج يزوّر ملامح الوجع... وجهها كان وثيقة إدانة، وعيناها كانتَا صرخة شعب كامل سُحق تحت أقدام الفاسدين.

في أقل من دقيقة، مزّقت هذه العراقية البسيطة كل شعارات "المظلومية" الزائفة، وفضحت تجّار الطائفة الذين حوّلوا العراق من مهد الحضارات إلى ساحة نهبٍ وخراب ومواكب نفاق.

خمسون ثانية فقط كانت كافية لتُسقط أقنعة أحزاب الحاكمية وميليشياتها التي تخدّر الناس بالشعارات بينما تسرق أعمارهم وأرزاقهم وأحلام أطفالهم.

أيّتها العراقية الصابرة...

أنتِ لستِ امرأة عابرة في مقطع، بل اختصار موجع لوطن كامل ينزف بصمت.
وجعكِ هو وجع ملايين العراقيين الذين أكل الفساد خبزهم، وسرق الأمان من بيوتهم، وحوّل أبناء الرافدين إلى غرباء في وطن يطفو على بحر من الثروات.

لقد تعبت العراق من الخطب الجوفاء، ومن سماسرة الدين والطائفة، ومن وجوهٍ احترفت المتاجرة بالمآسي، حتى صار المواطن يُهان في لقمة عيشه، ويُدفن حيًّا تحت ثقل الفقر والإذلال.

هذه المرأة لم تتحدث ببلاغة السياسيين، لكنها قالت الحقيقة التي يخافونها جميعًا:
أن العراق لم يُدمَّر بالحروب فقط... بل دُمّر حين تسلّط عليه الفاسدون باسم الطائفة، وارتفعت أصوات البنادق فوق صوت الإنسان.
سلامٌ على كل أم عراقية تخفي دموعها كي لا ينكسر بيتها،
وسحقًا لكل سلطة جعلت شعب الحضارات يقف في طوابير الجوع والمهانة داخل وطنٍ يُفترض أنه من أغنى أوطان الأرض.

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري
مدير التحرير..... د. سناء شامي
إدارة..... د. أشواق لطفي
تنسيق ..... ندا الخوام
رسوم..... الفنان منصور البكري
ويب..... فراس الزبيدي

تصميم: كامل عبدالله ... دان ميديا DAN media

تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومنتصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن ـ على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم .

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبرًا حقيقيًا يعكس صوت الشعب ويُعبّر عن همومه وتطلعاته.

«تعويضات حوادث المرور»

أغلب العراقيين يجهلون حق تعويض المتوفين والجرحى بالحوادث المرورية، ودون دفع مبالغ أقساط التأمين. وفق قانون "تعويضات الحوادث المرورية" بموجب قرار ٨١٥ لسنة ١٩٨٢ الساري المفعول إلى الآن، كما، ويلزم الدولة قانونيا بتعويض أي متوفٍ أو جريح عن طريق حادث مروري.

الحوادث المرورية، وحالات الوفيات والجرحى الناتجة عنها يكفل القانون تعويضهم من قبل شركة التأمين الوطنية. من حيث إن كل متوفٍ أو مجروح بإحدى وسائل النقل داخل العراق، ومن العراقيين حصرا احتسبت عنه مبالغ أقساط التأمين الخاصة بحوادث المرور لشركة التأمين بواقع دينار واحد عن كل لتر بانزين يشتريه صاحب السيارة، أو يباع بالعراق.

بناء على ذلك تقوم شركة التأمين الوطنية بالصرف على النحو التالي:

أولا: في حالة الوفاة:

1 ـ يصرف مبلغا مقطوعا (1,000,000) دينار تسمى بالدفنة.

2 ـ يصرف مبلغ (2,000,000) دينار لكل وريث، ويختلف هذا المبلغ بالنسبة للابن البالغ والبنت المتزوجة، حيث يصرف لهم مبلغ (750,00) دينارا، ويستقطع المتبقي، لأن التعويض جزء معنوي، والآخر مادي، فيستقطع التعويض المادي.

ثانيا: في حالة الإصابة بعجز:

1 ـ يصرف مبلغ 14,000,000 دينار، ويحدد حسب نسبة العجز الصادر عن اللجة الطبية للعجز.

2 ـ يصرف مبلغ 650,000 دينار مقطوع ثابت في حالة عدم التعرض لأي إصابة أو دون عجز.

آلية المطالبة بالتعويض:

1 ـ تقديم طلب إلى شركة التأمين الوطنية يتضمن مكان وزمان وقوع الحادث.

2 ـ تقوم الشركة بإصدار كتاب إلى مركز الشرطة المسجل فيه الحادث لطلب الأوليات، وبعدها تتخذ الشركة الإجراءات المحددة للصرف.

3 ـ ان لا تتجاوز السنة بين الحادث والمطالبة بالتعويض، فإذا تجاوزت السنة يسقط الحق بالمطالبة، (الفقرة القانونية عُدل بخصوص المدة على وقوع الحادث).

4 ـ يجب ألا يكون قد أخذ مبلغ الدية (الفصل العشائري) عن مسبب الحادث في الدعوى، فقط ليكون لك الحق بالمطالبة بالتعويض.

المصدر:

قاعدة التشريعات العراقية

مهنة تكرار الأزمات

المشاريع غير المدروسة بين التقنية ومدى نجاح التطبيق

قدس السامرائي *

رئيس اركان الجيش مع التحية حسب ما تداوله بعض الخبراء وقالوا. ليس كل مشروع يحمل عنوان التطوير هو مشروع ناجح، وليس كل فكرة تقنية تصلح للتطبيق داخل مؤسسة عسكرية حساسة.

مشروع الباركود الصحي على البدلة العسكرية يثير أسئلة خطيرة قبل أن يثير الإعجاب.

كيف يمكن القبول بوضع معلومات صحية وشخصية للمنتسبين ضمن نظام قد يتعرض للاختراق أو التسريب أو سوء الاستخدام؟

من يضمن عدم وصول هذه البيانات إلى جهات معادية أو شبكات تجسس إلكتروني؟ ومن يضمن عدم استغلالها مستقبلاً ضد المنتسبين أنفسهم؟

في عالم اليوم، أكبر الجيوش والمؤسسات السيادية تتعرض للاختراقات الإلكترونية بشكل مستمر، فكيف نغامر بفتح نافذة جديدة قد تحتوي على بيانات مئات الآلاف من العسكريين؟

الخطر لا يتوقف عند الاختراق فقط، بل يمتد إلى تسريب المعلومات، وفقدان البدلات العسكرية، واستنساخ الباركود، والوصول إلى قواعد البيانات الحساسة، وتحويل المعلومات الطبية والعسكرية إلى مادة استخبارية مجانية.

الأمر الأكثر غرابة أن الجيش يمتلك أصلاً سجلات طبية ومفارز ومستشفيات وأنظمة إدارية يمكن من خلالها الوصول إلى المعلومات المطلوبة دون تحميل الدولة مشروعاً جديداً بمبالغ ضخمة.

ـ كم ستكون كلفة إنتاج وتحديث وصيانة هذا النظام؟

ـ ومن هي الشركات المستفيدة؟

ـ ومن هي الجهات التي ستتولى العقود؟

ـ وهل أُجريت دراسة جدوى حقيقية أم أن الأمر مجرد فكرة طُرحت دون تقييم للمخاطر؟

قبل مناقشة تنفيذ المشروع، من حق المؤسسة العسكرية أن تعرف:

* من صاحب هذه الفكرة؟ بنت ملازم اول طبابه خريجه جديده

* وما هي خلفيته الفنية والأمنية؟

* ومن قدم له هذا المقترح؟

* وهل تمت استشارة خبراء الأمن السيبراني والاستخبارات العسكرية

* والسؤال عن صاحب الفكره وقد يكون مدفوع والأمور الطبية قبل طرحه؟

الأمن العسكري لا يحتمل التجارب والمعلومات الصحية للمنتسبين ليست مادة للعرض أو المغامرة.

إن حماية بيانات المقاتلين أهم من استعراض المشاريع، وحماية المال العام أهم من فتح أبواب إنفاق جديدة قد تشوبها شبهات الهدر.التطوير الحقيقي يبدأ بسد الثغرات الأمنية، لا بفتح ثغرات جديدة قد يدفع ثمنها الجيش والدولة والمنتسبون جميعاً.

نرجو مراجعة هذه الامور قبل ان تدمروا الجيش والبيانات العسكريه.

* إعلامية وحقوقية

ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - الدستور
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!

صوت الصعاليك

عندما تطرق الدولة أبواب المحرّمين... هل دخل العراق مرحلة إعادة تشكيل السلطة؟

ليست الاعتقالات السياسية التي شهدتها بغداد الأيام الماضية سيما فجر يوم الأحد 28 حزيران حدثاً أمنياً عابراً يمكن إدراجه ضمن السجل الطويل للإجراءات الحكومية ضد الفساد. فحجم العملية، وطبيعة الشخصيات المستهدفة، والتوقيت السياسي الذي جاءت فيه، كلها عوامل تجعل من الضروري النظر إلى ما جرى باعتباره تطوراً يتجاوز البعد القضائي المباشر نحو فضاء أوسع يتعلق بمستقبل الدولة العراقية وتوازنات السلطة فيها.

للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، بدا أن الدولة العراقية تحاول الاقتراب من مناطق كانت تُصنف عملياً ضمن دائرة الحصانة السياسية غير المعلنة. فالفساد في العراق لم يكن مجرد ظاهرة إدارية أو مالية، بل تحول منذ عام 2003 إلى جزء من البنية التي تشكلت حولها منظومة الحكم، حيث تداخلت المصالح الاقتصادية مع الولاءات الحزبية والنفوذ الأمني وشبكات الرعاية السياسية.

لهذا السبب تحديداً، لا يمكن قياس أهمية ما حدث بعدد أو مناصب المعتقلين، بل بالرسالة التي تحملها العملية نفسها. إذ إن مجرد انتقال الدولة من ملاحقة الموظف الصغير إلى الاقتراب بشجاعة من شخصيات سياسية نافذة أوصلت البلاد إلى ما هي عليه ـ يمثل ـ تحولاً في طبيعة العلاقة بين السلطة والقانون.

فالعراق يقف أمام لحظة اختبار نادرة. فإما أن تتحول مكافحة الفساد إلى مشروع دولة يعيد تعريف العلاقة بين السلطة والقانون، وإما أن يبقى الفساد جزءاً من آلية إنتاج السلطة نفسها مهما تغيرت الوجوه والعناوين.. إلا أن السؤال الأكثر أهمية ليس ما حدث، بل لماذا حدث الآن؟.

هناك ثلاثة تفسيرات رئيسية يمكن أن تساعد في فهم المشهد.

التفسير الأول يتعلق بمحاولة الحكومة تعزيز شرعيتها الداخلية. فمكافحة الفساد ظلت لسنوات المطلب الأكثر حضوراً في الخطاب الشعبي العراقي، كما كانت القضية التي التقت حولها احتجاجات الشارع والقوى المدنية وقطاعات واسعة من الرأي العام. وبالتالي فإن أي حكومة تسعى إلى ترسيخ موقعها تدرك أن الدخول إلى ملف الفساد يمنحها زخماً سياسياً يصعب تحقيقه عبر ملفات أخرى.

أما التفسير الثاني فيرتبط بطبيعة التحقيقات نفسها. فمن المعروف أن العديد من قضايا الفساد الكبرى لا تُفتح دفعة واحدة، بل تتكشف تدريجياً عبر اعترافات ومعلومات تقود إلى شبكات أوسع. وفي مثل هذه الحالات تصبح الدولة أمام خيارين: إما إغلاق الملف حفاظاً على التوازنات السياسية، أو الذهاب إلى نهايته مهما كانت الكلفة.

لكن التفسير الثالث، وربما الأكثر حساسية، يتمثل في احتمال أن تكون البلاد أمام عملية إعادة ترتيب لمراكز النفوذ داخل النظام السياسي نفسه. ففي الأنظمة المعقدة لا تنفصل مكافحة الفساد دائماً عن الصراع على السلطة، بل قد تصبح إحدى أدواته الرئيسية.

من هنا تنبع أهمية متابعة الجهات التي ستطالها التحقيقات خلال المرحلة المقبلة. فإذا توسعت الإجراءات لتشمل شخصيات من مختلف الاتجاهات والانتماءات مهما كان حجمها وموقعها السياسي، فإن ذلك سيعزز الرواية القائلة إن الدولة تخوض مواجهة حقيقية مع منظومة الفساد. أما إذا انحصر الاستهداف في دوائر سياسية محددة لتكون كبش فداء لتبرئة ساحة أصحاب الكروش، فإن النقاش سيتحول سريعاً من مكافحة الفساد إلى إعادة توزيع النفوذ.

ويزداد هذا البعد تعقيداً عندما نأخذ في الاعتبار أن بعض المؤشرات الأولية تربط التحقيقات بملفات مالية ذات صلة بقطاع النفط. ففي العراق لا يمثل النفط مجرد مورد اقتصادي، بل هو مركز الثقل الحقيقي للدولة ومصدر القوة المالية التي تدور حولها معظم شبكات النفوذ. ولذلك فإن أي تحقيق جدي داخل هذا القطاع يحمل بطبيعته تداعيات سياسية تتجاوز حدود الملف المالي نفسه.

إقليمياً، تراقب العواصم المؤثرة المشهد بحذر. فالولايات المتحدة تنظر إلى قدرة بغداد على تعزيز مؤسسات الدولة وتقليص الاقتصاد الموازي، فيما تتابع إيران أي تطورات قد تمس شبكات النفوذ القريبة من حلفائها داخل العراق. أما الدول العربية الخليجية فترى في استقرار الدولة العراقية وتقوية مؤسساتها مصلحة استراتيجية تتجاوز الحدود العراقية.

لكن التأثير الخارجي، على أهميته، يبقى عاملاً ثانوياً مقارنة بالتحدي الداخلي الحقيقي.

فالاختبار الفعلي للحملة لن يكون في عدد الموقوفين، بل في قدرة المؤسسات العراقية على حماية مسار التحقيقات من الضغوط السياسية، وتحويل الاتهامات إلى أحكام قضائية راسخة، واستعادة الأموال العامة، وإثبات أن القانون قادر على الوصول إلى الجميع دون استثناء.

إن ما يجري اليوم، قد يمثل بداية مسار مختلف، وقد يكون مجرد جولة جديدة في صراع النفوذ التقليدي. لهذا فإن القيمة الحقيقية للحدث لا تكمن في الاعتقالات التي حدثت بالفعل، بل في تلك التي قد تحدث لاحقاً، وفي الأسماء التي لم تُذكر بعد، وفي قدرة الدولة على الاستمرار عندما تصل التحقيقات إلى أكثر المناطق حساسية داخل منظومة السلطة.

وعند هذه النقطة تحديداً، يصبح السؤال الحقيقي ليس: من تم اعتقاله اليوم؟
بل: هل أصبحت الدولة العراقية مستعدة أخيراً لمحاسبة من كانوا يعتقدون أنهم فوق المحاسبة؟
ففي الحالة العراقية، النقطة الأكثر إثارة للاهتمام ليست الاعتقالات بحد ذاتها، وإنما السؤال الأكبر: هل نحن أمام بداية انتقال من دولة تُدار بالتوافقات السياسية ـ إلى ـ دولة تحاول استعادة منطق المؤسسات والقانون؟.

جداريات من ذاك المكان

أضواء ..
” المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية “

«استقالة رئيس الطيران المدني تشعل الجدل في العراق»

بصمت ودون ضجيج مرت استقالة رئيس سلطة الطيران المدني بنكين ريكاني ـ الذي وضح ان أسباب طلب إعفاءه من تحمل المسؤولية يكمن في ان التهريب في مطار بغداد لايمكن قطع دابره في ظل وجود خمس صالات vip مع وجود استثناءات من التفتيش:

الأولى لرئاسة الجمهوريه
والثانيه لمجلس النواب
والثالثه لمجلس الوزراء
والرابعه للحشد
والخامسه لم يكشف عنها

مشيرا إلى عدم قدرته العمل أو فرض السلطه على المطار، وأنه لا يستطيع فرض إرادته. موضحاً ان كل ـ مطارات ـ الدول الأجنبية توجد فيها قاعة VIP واحدة فقط استنادا للأعراف الدولية، ويجب أن تكون خارج مبنى المطار وبوابتها منعزلة تماما..

وتحدث ريكاني عن جملة من الإخفاقات داخل منظومة الطيران المدني، أبرزها ضعف الالتزام بالمعايير الدولية في تشغيل الخطوط الجوية العراقية، مشيراً إلى أن الشركة "غير قادرة على تطبيق المعايير الحديثة في إدارة وصيانة الطائرات".

وأضاف: أن "أحد أبرز الإشكالات يتمثل في غياب الكوادر المتخصصة داخل مؤسسات الطيران، مع وجود العديد من العاملين في المطار يحملون شهادات لا تمت بصلة للاختصاصات الجوية أو الفنية المطلوبة".

وأن "قطاع الطيران يعاني من تداخل في الصلاحيات بين سلطة الطيران المدني، والخطوط الجوية العراقية، ووزارة النقل، ما أدى إلى ضعف في الإدارة وتشتت القرار الفني والتنظيمي".

« الحكومة: ليس لديها الحلول، والبطالة تلوي ذراع المواطن »

تتجلى أزمة البطالة في العراق في عدة تداعيات مباشرة وملموسة على حياة المواطنين ـ أهمها ـ انعدام الأمن الاقتصادي: مما يؤدي تقلص فرص العمل المتاحة إلى تراجع القدرة الشرائية للمواطن وعجزه عن تلبية الاحتياجات الأساسية..غياب الحلول الهيكلية وتنامي فشل السياسات الحكومية في الانتقال من "اقتصاد الريع" أو الاعتماد على الوظيفة الحكومية إلى نموذج اقتصادي منتج يوفر فرص عمل مستدامة.

تفاقم التحديات الاجتماعية: تتحول البطالة إلى ضغط نفسي واجتماعي مستمر يضع الأسر في حالة "تلوي الذراع"، حيث يصبح البحث عن الدخل اليومي هاجساً يومياً يفوق قدرة الفرد والمؤسسات الحالية على احتوائه.

للتصدي لهذه الأزمة، تؤكد الدراسات الاقتصادية أن الحلول تتطلب تحولاً جذرياً يتمثل في: إصلاح مخرجات التعليم: ربط التخصصات الأكاديمية والمهنية باحتياجات سوق العمل.. تشجيع المبادرات الخاصة وتوفير بيئة ملائمة للشباب لإطلاق مشاريعهم الإنتاجية. وصقل مهارات الباحثين عن عمل لتسهيل اندماجهم في القطاعات الواعدة.

من هنا فان من واجب الدولة وهي من تتولى التنظيم والتصرف بالمال العام الذي هو ملك لكل الشعب، ان تجد حلا للبطالة وليس شرطا ان تقوم بتعيين كل من يطلب الوظيفة، النظم السياسية المحترمة تضع في منهاجها الوزاري مثلا او في صلب سياستها، ان تقلل من مستويات البطالة من خلال خلق فرص عمل في كل القطاعات، وتختار اليات للتشجيع محددة بارقام وأسقف زمنية، اما من لم يحصل على فرصة عمل فتمنحه دعم الحد الأدنى من الاجور..

الا الحكومات العراقية المتعاقبة فهي تختار من يصفق لها ويتبعها على عمى، حتى لو كان أميا او حتى خارج القانون والاطر التنظيمية، وتترك الاف الخريجين في الشوارع بين حيرة الظلم وخيارات مجهولة قادت البعض للتطرف والبعض للمخدرات والبعض للشعور بالكراهية للمجتمع، المطلوب الان ليس قمع الخريجين بواسطة شرطة الشغب، بل بالجلوس معهم وتسخير كل طاقات البلد لحل واحدة من أكبر معضلات التطور والاستقرار والسلام المجتمعي واتساع حالة الاحتقان الشعبي .

نحن مع حق العمل المسنون دستورا ومع واجب الدولة في ان توفر فرص عمل للشباب، بدل صرف المليارات على تصليح مؤخرات النواب، او شراء ما لا تحتاجه من كماليات لتكون، بابا من ابواب الفساد تحت بنود قانونية .

» العراقُ ؟... في حَضْرة آراءِ المُواطنينَ«

*** الأكاديمي: مؤمن طارق**

في المراحل المفصلية من تاريخ الدول لا تبحث القيادات السياسية عن مسؤول يدير مؤسسة بل عن رجل دولة قادر على صناعة التحول واليوم ومع حاجة العراق إلى ترسيخ الأمن المستدام واستعادة هيبة القانون يبرز الفريق الدكتور عمر الوائلي بوصفه أحد أبرز القيادات الأمنية التي تمتلك مزيجاً نادراً من الخبرة الميدانية والرؤية الاستراتيجية والقدرة على إدارة التحول المؤسسي.

الوائلي ليس اسماً طارئاً على مؤسسة الداخلية بل هو ابنها الذي تدرج في مفاصلها الأمنية والإدارية ما يمنحه فهماً عميقاً لتحدياتها واحتياجاتها المستقبلية. وقد أثبت في مسؤولياته أن النجاح الأمني لا يتحقق بالقوة وحدها بل ببناء منظومات عمل حديثة تعتمد على الانضباط والرقمنة والحوكمة والأتمتة وهي الركائز ذاتها التي تحتاجها وزارة الداخلية اليوم.

إن استعادة هيبة الدولة تبدأ من استعادة هيبة القانون وهيبة القانون تبدأ من مؤسسة أمنية قوية وعادلة وفاعلة. ومن هنا فإن اعتماد دولة رئيس الوزراء على شخصية بحجم وخبرة الفريق عمر الوائلي لا يمثل مجرد اختيار إداري بل يمثل استثماراً استراتيجياً في مشروع دولة قادرة على فرض القانون ومواجهة الجريمة المنظمة وتعزيز ثقة المواطن بالمؤسسات.

العراق بحاجة إلى قيادة أمنية تفكر بعقل الدولة لا بعقل المنصب وتبني هندسة أمنية حديثة تنقل وزارة الداخلية من الإدارة التقليدية إلى منظومة أمنية ذكية قادرة على استشراف المخاطر وإدارة الأمن بكفاءة عالية. وهذه الرؤية تتوافر في شخصية الفريق عمر الوائلي الذي يمثل نموذجاً للقيادة القادرة على تحويل الأمن من رد فعل إلى صناعة استقرار ومن إدارة يومية إلى مشروع وطني يعيد للدولة هيبتها وللمواطن ثقته بمؤسساته .

*** المستشار: منير حداد**

الى السيد دولة رئيس الوزراء
السيد علي الزيدي المحترم ..

قيل في الاعلام بان العراق سيقترض 50 مليار دولار من دول الخليج لتسيير شؤون الدولة التي نهبها من سبقك .. اعرض على سيادتكم حل بمنتهى البساطة تعيد للدولة مانهب خلال23 عاما ..شكل لجنة من كبار القانونيين والمحاسبين والخبراء في القانون والاحصاء والنزاهة .. معروفين بنزاهتهم ووطنيتهم بعنوان - من أين لك هذا- وستعيد للدولة الاف المليارات بجهود قضاءنا الشجاع .. ففي القضاء الان ممن لايرحم الفاسدين واللصوص .. مدير عام راتبه 3 ملايين دينار عراقي - الفي دولار- عنده عمارات وقصور وسيارات بملايين الدولارات برلماني راتبه 7 ملايين يفتخر بان له مشاريع ومستشفيات وجامعات وثروته بالمليارات داخل وخارج العراق .. وكذلك شخصيات لاتعرف القراءة والكتابة اصبحوا ملياردرية بقوة السلاح .. نهبت اراض وقصور ومزارع تعود لاركان النظام السابق او لابناء الطوائف التي استضعفت وهربت خارج العراق مع الاسف بسبب غياب القانون .. لاترحم احدا واستعن باي قوة تختارها ولو كانت من الخارج لتنفيذذلك .. والا لم ولن تستطيع ان تفعل شي..

((تعليقات القراء)):

*** الحقوقي فاضل حسن البولاني**

نادا كثير من القضاة والاعلاميين والمختصيت بالشأن السياسي بتطبيق من اين لك هذا منذ عدة سنوات ولكن لاحياة لمن تنادي.

*** جاسم ابومحمد الشمري**

مقترح جيد جدا فعلا يعيد الاموال التي نهبت ولكن هذا الامر صعب على رئيس وزراء جائت به الاحزاب وهم الذين اختاروه مثل هذا الامر ما يصير الا بحكومة انقاذ مدعومه دوليا وليس من الداخل..

***Kazem Jawad**

استحداث او اختيار قوه ضمن قياده منفصله ومدربه لمداهمه الفاسدين اضافه الى التنسيق مع الدول لجلب الفاسدين والسراق عبر الانتربول.

*** الملا عبيد**

انت شجاع وشريف ونزيه وامك راضعتك حليب طاهر يا عراقي يا اصيل.. الحرامية ما يريدون هذا الكلام من شجاع واحرص على نفسك من لا ضمير ولا شرف عدهم من سرقو ونهبو ثروات العراق شكرا لكل شجاع وشريف يقف بوجه من تجاوز على المال العام بدون حق.

*** حسن عليوي الكرغولي**

مقترح وطني وواقعي بالإمكان تطبيقه وأود ان أضيف إضافة بسيطة متواضعة ،اذا اريد العمل على مواجهة الفساد العمل على إعادة تشكيل مكاتب المفتشين العموميين التي ألغيت بناءا على رغبة البعض من الأفراد او الجهات لازها كانت بمقام الناطور على المال العام والناطور من يكرهه ويضوج منه /على أن يتم تشريع قانون ين.م عمله و تكون كوادره من موظفين ينتقون بشكل علمي وحيادي غير منتمين إلى أي جهة...

ابو منتظر السوداني

افعل حتى لو قليل من هذه النصائح المفيدة والمحترمة من رجال مهنيين واهل باع طويل وخبرة مجربة لدى عملهم في مؤسسات الدولة القضائية والافعال الشجاعه ولا تزيد الطين بله ولا تحمل البلد بديون مليارات الدولارات حتى تؤمن تمشية المشاريع المتلكئة مثل رواتب موظفي الدولة وغيرها وعليك بالغاء رواتب الرفحاويين وتخفيض رواتب الرئاسات الثلاثة والمستشارين ونواب البرلمان ومجالس المحافظات العراقية والغاء رواتب دول الجوار وكن رجل دولة وشجاع ووطني..
هذا ونتمنى لك الموفقية والنجاح في عملك

** لو يطبق قانون من أين لك هذا على الكل، يرجع ـ العرااااق ـ آلاف المليارات المسروقة، وتلك التي وُزعت هبات لدول أساءت للعراق!!

مراجعات فكرية

صرخة النساء تخترق التاريخ... الإقتصاد الأخلاقي للجماهير

الغزالي الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

المحور: حقوق المراة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات

- كيف نضال النساء يظهر بطولاتهن كاستثناءات، أو أهداف حكايات مؤثرة ومهمة، أو في صنع هامش ضاغطًا، أو كمكملات للعاملة الواعية، لا كشخصيات تاريخية محورية عابرة؟.

- وماهي البدائل الاستراتيجية؛ عندما تتكاتف هؤلاء النساء ويعلنّ أن الموقع العمالي/ الوظيفي عبر رعاية نوع العملٌ أيضاً، وأن عمل الرعاية الاجتماعية وعمل التنظيف أيضاً، وكذلك عمل رعاية المسنين أيضاً، وأن التعليم بناءٌ للمستقبل، يتظاهر النظام بالدهشة..؟

- وكيف أخذ مشروع رفع المطالبة بشعار يجسده "الخبز والسلام" ليسا مجرد كلمتين عابرتين. بل دافع تنظيمي واقعي؛ الذين يناضلون من أجلهما، في الحقيقة، يناضلون لتغيير العالم؟.

موجز تجريدي مبسط؛

إذ لا يزال خيطٌ أحمر وبنفسجي نسجته النساء ينسج التاريخ حتى يومنا هذا. فعندما تُهدد الحياة، ويُهاجم البقاء، وتُقرر القوى نفسها من يأكل، ومن يُربي الأطفال، ومن يدرس، ومن يعيش بسلام، ومن له الحق في مستقبل، تظهر النساء في الصفوف الأمامية لتحدي سلطتها. صرخة النساء تخترق التاريخ . رفع شعار المطالبة بـ"الخبز والسلام": صرخة ترعب الفساد. وتهديد مباشر من غطرسة السلطة الحاكمة. لذا تُعد بأنها صرخة تخترق التاريخ. بأهداف استراتيجية خطيرة. بقوتها وفرصتها. موازية للحكم والقرار الاجتماعي - السياسي. للجماهير.

في عام 1917()، في بتروغراد، خرجت النساء العاملات إلى الشوارع للمطالبة بالخبز والسلام. عادةً ما يروي التاريخ قصة الثورة الروسية من منظور الأحزاب السياسية، والمجالس السوفيتية، والخطابات الرنانة، أو الأسماء المنقوشة على الحجر. ولكن قبل اقتحام قصر الشتاء، وفي الوقت نفسه الذي صدرت فيه الأطروحات والبيانات، كان هناك حشدٌ من النساء يُشيرن إلى أمرٍ جوهري: لم يعد بإمكانهن العيش في ظل الجوع والحرب والخضوع.

لم تكن هذه المرة الأولى. ففي عام 1789()، سارت آلاف النساء الباريسيات إلى قصر فرساي احتجاجًا على غلاء الخبز وندرته. أرادت جموعٌ من النساء تذكير الملك بأنه لا شرعية بدون الخبز. وبذلك، فتحن الباب أمام ثورة ستغير وجه أوروبا.

وفي مدريد أيضًا، اتخذت احتجاجات الخبز طابعًا شعبيًا خاصًا بها. أوضح الأستاذ المشارك والمؤرخ فرانسيسكو سانشيز بيريز كيف اجتاحت هذه الاحتجاجات، في مطلع القرن العشرين، الأحياء الفقيرة والأسواق والشوارع حيث كان الشعور بالنقص أشدّ وطأةً منه في المكاتب. بدأت النساء ثوراتهن في الصباح الباكر، مسيراتٍ من لافابيس باتجاه بويرتا ديل سول()، وفي فترة ما بعد الظهر، انضم إليهن الرجال بعد انتهاء دوامهم. لم تكن هذه مجرد نوبات غضبٍ عفوية أو انفجارات غضبٍ عابرة، بل كانت أفعالًا واعيةً مدفوعةً بإحساسٍ عميقٍ بالعدالة.

أطلق المؤرخ والكاتب والاشتراكي والناشط السلمي الإنجليزي إي. بي. طومسون (1924-1993)() على هذا المفهوم اسم "الاقتصاد الأخلاقي للجماهير"(): أي القناعة الشعبية بأن الخبز والحياة والمعيشة لا يمكن تركها للمضاربة، أو لأهواء الأقوياء، أو لقوى السوق الخفية التي تُطلق على الحرية دائمًا ما يُعتبر حكمًا على الفقراء.

هذا الخيط الأحمر والبنفسجي الذي نسجته النساء يمتد عبر التاريخ حتى يومنا هذا. فعندما تُهدد الحياة، ويُهاجم البقاء، وتُقرر القوى نفسها من يأكل، ومن يُربي الأطفال، ومن يدرس، ومن يعيش بسلام، ومن له الحق في مستقبل، تظهر النساء في الصفوف الأمامية لتحدي سلطتهم. ليس لأن التاريخ منحهن هذا المكان، بل لأنهن من حافظن على الحياة عندما كان كل شيء ينهار.

عادةً ما يتأخر التاريخ الرسمي في إدراك هذا، إن أدركه أصلًا. إن رواية التاريخ معركة سياسية أيضًا. لم تُطرد النساء من مناصب السلطة فحسب، بل تم استبعادهن أيضًا من الرواية التاريخية. لطالما سردت الكتب المدرسية التاريخ وكأن تقدم البشرية اقتصر تقريبًا على أفعال الملوك والجنرالات والرؤساء وقادة الأعمال والعظماء. يظهرون كاستثناءات، أو حكايات عابرة، أو في هوامش، أو كمكملات للعامل الواعي، لا كشخصيات تاريخية محورية. وهكذا، تُحجب الحقيقة الأساسية: أنهم غالبًا ما كانوا الطليعة المادية للنضالات السياسية الكبرى.

الخبز والسلام كلمتان بسيطتان لكنهما ثوريتان، وها هما اليوم أمامنا مجددًا. إنهما في غزة، حيث يتردد صداهما كإدانة للعالم. خبز وسلام لأطفال قُصفوا، خبز وسلام لشعب عوقب بإبادة جماعية ارتكبتها دولة إسرائيل الإرهابية بالقنابل على المستشفيات والمدارس والمنازل والأسواق؛ بالمجاعة؛ بالتهجير القسري؛ بحرمانهم من حقهم في الوجود.

إن النضال من أجل السلام ليس شعارًا ساذجًا أو بطاقة بريدية طفولية عليها حمائم. السلام نضال مادي عميق. إنه الحق في السكن اللائق، وفي المستشفيات العامة، وفي المدارس العامة، وفي عدم العيش تحت وطأة الإرهاب. ولهذا السبب تحديدًا، يُثير قلق أولئك الذين يُحوّلون أوروبا إلى قارةٍ في خدمة تجارة الأسلحة.

اليوم، بينما تُصرّ أوروبا على فرض إعادة التسلح علينا باعتباره الخيار الوحيد المُتاح، يجدر بنا أن نتذكر أن أقوى معارضة سياسية لهذا التوجه في بلدنا تقودها امرأتان: عضوة مجلس النواب الإسباني إيون بيلارا (1987-)() وعضوة البرلمان الأوروبي إيرين مونتيرو (1988-)(). في مواجهة من يتحدثون عن زيادة الإنفاق على الأسلحة وكأنه الخيار الوحيد المُتاح، تُعبّران عن أمرٍ في غاية البساطة: لا يُمكن بناء الأمن بتدمير الحقوق الاجتماعية؛ ولا يُمكن الحديث عن السلام مع تغذية آلة الحرب؛ ولا يُمكن طلب التضحيات من الأغلبية الاجتماعية مع فتح أبواب الأموال العامة على مصراعيها أمام صناعة الأسلحة.

لهذا السبب، يعود الشعار القديم ليُناسبنا من جديد. الخبز، لأن كل يورو يُنفق على إعادة التسلح هو يورو يُحرم منه السكن والرعاية الصحية والتعليم والرعاية طويلة الأجل والخدمات الاجتماعية. السلام، لأن أمن الأمم لا يُبنى بالاستعداد للحرب، بل بضمان حياة كريمة. لا مستقبل لأوروبا تُقرع فيها طبول الحرب بصوت أعلى فأعلى، ويُنظر فيها إلى الحديث عن السلام على أنه إسرافٌ من سذاجة الناس.

إحدى أعظم معارك عصرنا هي تحديدًا: من يُحدد مفهوم الأمن؟ بالنسبة للأقوياء، الأمن هو تحصين الحدود بآلة مكافحة الاعمال الإجرامية (عبر"الحدود الخارجية")()، وبناء الجدران، ونشر الجيوش، وزيادة المراقبة، وفرض الطاعة. أما بالنسبة لمن يُكافحون من أجل البقاء، فالأمن هو توفير لقمة العيش، وامتلاك مسكن، ومدرسة حكومية، ورعاية صحية فعّالة، ومعاش تقاعدي لائق، ووظيفة تُمنح فيها الحقوق، وحي صالح للعيش، وطفولة آمنة، وعالم لا يُقتل فيه المرء لمجرد ولادته على الجانب الآخر من الحدود.

وهنا تبرز النساء مجدداً كواقع اجتماعي، لأنهن يشغلن أقل الوظائف أجراً، ومع ذلك فهنّ الأكثر أهمية: في دور رعاية المسنين، والرعاية المنزلية، والتنظيف، ومقاصف المدارس، ورياض الأطفال، والمستشفيات. إنهنّ جيش حقيقي من العاملات اللواتي يُسهمن في استمرار الحياة، كما تجلى ذلك خلال جائحة (كوفيد-19).

لسنوات طويلة، استخدم النظام الرأسمالي مصطلح "العمل المنزلي" ككناية لإخفاء ما كان دائماً عملاً غير مدفوع الأجر: هيكل رعاية كامل تتحمله النساء. ولذلك، عندما تتكاتف هؤلاء النساء ويقلن إن تقديم الرعاية عمل أيضاً، والتنظيف عمل أيضاً، ورعاية كبار السن عمل أيضاً، والتعليم أيضاً بناء للمستقبل، يتظاهر النظام بالدهشة. وكأنه لا يعلم أن هيكله بأكمله قائم على هذه الركائز. لكنه يعلم ذلك تماماً، ولهذا السبب يُخفيه بل ويُضفي عليه طابعاً رومانسياً. لأنه لو تم الاعتراف بقيمة عمل الرعاية حقاً، لانقلب كل شيء رأساً على عقب: الأجور، وساعات العمل، والميزانيات، والأولويات، وحتى مفهوم الثروة نفسه.

يخوض هذه المعركة عمال المنازل وعمال الرعاية، وكثير منهم مهاجرون؛ ومساعدو الرعاية المنزلية، الذين يقدمون الرعاية لآلاف الأفراد المعالين بمفردهم تقريبًا، بينما تتعاقد الوكالات الحكومية من الباطن دون خجل؛ وعمال النظافة، الذين يدركون أنه لا يمكن لأي مستشفى أو جامعة أو وزارة أو مبنى عام أن يعمل بدون عملهم؛ وعمال دور رعاية المسنين، الذين يعرفون أكثر من غيرهم نفاق مجتمع يدّعي تبجيل كبار السن بينما يخلق ظروف عمل غير مستقرة لمن يرعونهم.

ثم هناك المعلمون. ثمة شيء ثوري عميق في المعلم. شيء لطالما فهمته القوى الرجعية أفضل من بعض من يسمون أنفسهم تقدميين. لهذا السبب اضطهد نظام فرانكو (1892-1975)()، الزعيم السابق لإسبانيا، العديد من المعلمين الجمهوريين، لأن المعلم لا يُعلّم القراءة فحسب: بل يفتح بابًا للتفكير النقدي. بإمكانه أن يُعلّم فتاة فقيرة أن حياتها ليست مُقدّرة سلفًا، وفتى من حيّ شعبي أن العالم ليس حكرًا على من يرثونه.

أدرك المعلمون الجمهوريون هذا الأمر. فبالنسبة لهم، لم تكن المدرسة مجرد مستودع لإيواء الأطفال، ولا مصنعًا للطاعة، بل كانت وعدًا بالتحرر، وتغذية فكرية وأخلاقية وديمقراطية. كانت الأمل في ألا يكون المستقبل تكرارًا للفقر والجهل والخوف. ولهذا السبب قُتل العديد من المعلمين، وتعرض معظمهم لأعمال انتقامية.

ولهذا السبب، لا تزال المدارس الحكومية حتى اليوم هدفًا للهجمات وساحات معارك. لأن ما يُقرر فيها يتجاوز مجرد المناهج الدراسية. يُقرر فيها ما إذا كان المجتمع سيقبل بأن عدم المساواة متوارثة أم سيسعى إلى تفكيكها. يُقرر فيها ما إذا كان لأبناء وبنات الطبقة العاملة الحق في عيش حياة أفضل من آبائهم؛ وما إذا كان التعليم يعني بناء مواطنين صالحين أم خلق رعايا؛ وما إذا كانت الفتيات سيتعلمن الطاعة أم الدفاع عن أنفسهن.

لهذا السبب، فإن الخبز والسلام ليسا مجرد كلمتين عابرتين. بل يجب أن يكونا البرنامج المادي لسياسة يسارية تضع حياة الناس في المقام الأول. لأنّ من يناضلون من أجل لقمة العيش يناضلون في نهاية المطاف من أجل السلام، ومن يناضلون من أجل السلام يناضلون في نهاية المطاف من أجل الرعاية، ومن أجل الوقت، ومن أجل الأجور، ومن أجل التعليم، ومن أجل السكن، ومن أجل الكرامة. إنّ من يناضلون من أجل كل ذلك، في الحقيقة، يناضلون من أجل تغيير العالم.

من بتروغراد إلى فرساي، ومن أحياء الطبقة العاملة في مدريد إلى الشوارع التي تُندد اليوم بالإبادة الجماعية في غزة، ومن المعلمين الجمهوريين إلى العاملين في مجال الرعاية، هناك خيط واحد أحمر وبنفسجي: الدفاع عن الحياة ضدّ من يحوّلونها إلى سلعة، أو نهب، أو ضرر جانبي.

لعلّ هذه هي المهمة السياسية الأكثر إلحاحًا: إعادة الحياة إلى مركز الصدارة، لا كشعارٍ جميلٍ على راية، بل كنضالٍ حقيقيّ ضدّ من يهددونها. إذا عرض علينا أصحاب السلطة إعادة التسلح، نقول السلام. إذا عرض علينا السوق الهشاشة، نقول الحقوق. إذا عرض علينا اليمين حنينًا إلى الماضي السلطوي، نقول الذاكرة. إذا عرضت علينا الرأسمالية عملًا غير مرئيّ بأجورٍ زهيدة، نقول التنظيم.

وإذا قالوا لنا إنه لا بديل، فسنتذكر جميع النساء اللواتي، قبل أيّ أحد، خرجن إلى الشوارع مطالباتٍ بالخبز والسلام، وأشعلن شرارة الثورات. لأنّ التاريخ لا يتقدّم من تلقاء نفسه؛ بل يدفعه أولئك الذين يرفضون قبول أن حياة المظلومين أقلّ قيمة. ودائمًا، في بداية كلّ شيء، تكون النساء هنّ من يمشين.

***

آراء حرة

الضجيج والحراك الشعبي، من وجهة نظر اجتماعية

حيدر حسين سويري

يُعدّ الحراك الشعبي أحد أبرز الظواهر الاجتماعية، التي تعبّر عن تفاعل المجتمع مع القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية التي تمسّ حياته اليومية. وفي خضم هذا الحراك يبرز ما يمكن تسميته بـ"الضجيج الاجتماعي"، وهو ذلك الكمّ الكبير من الأصوات والخطابات والآراء المتباينة، التي ترافق أي حركة جماهيرية وتسهم في تشكيل صورتها وتأثيرها.

من المنظور الاجتماعي، لا يُنظر إلى الضجيج بوصفه مجرد فوضى أو تشويش، بل باعتباره انعكاسًا طبيعيًا لتنوّع الفئات الاجتماعية واختلاف مصالحها وتصوراتها. فعندما تنخرط الجماعات المختلفة في التعبير عن مطالبها، تتعدد الخطابات وتتباين الرؤى، ما يخلق حالة من الجدل والنقاش العام. ويُعدّ هذا الجدل أحد المؤشرات المهمة على حيوية المجتمع وقدرته على إنتاج الأفكار وتداولها.

يرتبط الحراك الشعبي عادةً بوجود شعور جماعي بعدم الرضا تجاه أوضاع معينة، سواء كانت اقتصادية كالبطالة وارتفاع الأسعار، أو سياسية كضعف المشاركة في صنع القرار، أو اجتماعية كاتساع الفجوات الطبقية. وعندما تتراكم هذه المشكلات دون حلول فعالة، تتحول المشاعر الفردية إلى وعي جماعي يدفع الأفراد إلى المشاركة في الفعل الجماعي والمطالبة بالتغيير.

وفي هذا السياق، يؤدي الضجيج دورًا مزدوجًا. فمن جهة، يسهم في لفت انتباه الرأي العام وصناع القرار إلى القضايا المطروحة، ويمنح الفئات المهمشة فرصة لإيصال أصواتها. ومن جهة أخرى، قد يؤدي إلى تشتيت المطالب أو خلق حالة من الاستقطاب إذا طغت الشعارات الانفعالية على الحوار العقلاني. لذلك فإن نجاح الحراك الشعبي يعتمد إلى حد كبير على قدرته على تنظيم هذا التنوع وتحويله إلى مشروع اجتماعي واضح الأهداف.

يحكى: في يوم عاشوراء، كان المرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري واقفًا عند مدخل صحن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، يستقبل المواكب الحسينيّة الوافدة، وكان إلى جانبه أفندي، ممثّل الدولة العثمانيّة وحاكم العراق آنذاك.

سأل الأفندي الشيخ الأنصاري:

"يا شيخ، نحن نُقِرّ بأنّ الحسين (عليه السلام) قد استُشهِد مظلومًا، وأنّ (يزيد) كان إنسانًا دنيئًا وسفّاكًا، ونحن أيضًا نأسى لمصابه، ولكن سؤالي هو: ما معنى هذه المراسيم؟ اللطم على الصدور، وضرب السلاسل، ومسيرات العزاء، وطمّ التراب على الرؤوس... ما الغاية من كل هذا؟!"

فأجابه الشيخ الأنصاري:

"السرّ في الأمر هو أننا نحن الشيعة ـ خُدِعنا مرّة، ونقيم هذه الشعائر لئلّا نُخدع مرّة أخرى!"

فقال الأفندي متعجّبًا:

"وما تقصد؟!"

فقال الشيخ الأنصاري:

"في واقعة الغدير، نصّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) صراحةً، وأمام مئة ألفٍ من الناس، على أنّ عليًّا (عليه السلام) هو وصيّه وخليفته، لكنكم جئتم فيما بعد فأنكرتم الغدير، أو قلّلتم من شأنه، وقلتم: إنّه لا يعدو أن يكون مجرّد توصية بمحبّة عليّ (عليه السلام). الخطأ كان منّا، إذ لم نُعظِّم عيد الغدير بالضجيج والشعارات والاحتفال، فضاع الحقّ وانقلب الباطل سلطانًا. لذلك، خفنا أن يتكرّر الأمر مع كربلاء؛ فإن لم نُعظِّم عاشوراء بالهتاف والشعائر والمواكب، فربّما تقولون غدًا: لم يُقتل الحسين، أو قَتَلَته عصابة في الطريق، أو أنّ يزيد كان رجلًا صالحًا متّقيًا!"

لعبت وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي دورًا محوريًا في تضخيم الضجيج المرتبط بالحراك الشعبي. فقد أصبحت هذه الوسائل ساحات مفتوحة للنقاش والتعبئة والحشد، لكنها في الوقت نفسه فتحت المجال أمام انتشار المعلومات المضللة والخطابات المتطرفة. ومن هنا تظهر أهمية الوعي المجتمعي والنقد الإعلامي في التمييز بين المعلومات الموثوقة والرسائل التي تهدف إلى التأثير السلبي في مسار الحراك.

إن الحراك الشعبي، رغم ما يرافقه من ضجيج واختلافات، يمثل في جوهره تعبيرًا عن ديناميكية المجتمع ورغبته في التطور. فالتحولات الاجتماعية الكبرى غالبًا ما تبدأ بأصوات متفرقة ومطالب متباينة قبل أن تتبلور في رؤى أكثر وضوحًا.

لذلك فإن فهم الضجيج المصاحب للحراك لا يكون من خلال رفضه أو الخوف منه، بل من خلال إدراك أسبابه ووظائفه الاجتماعية، والعمل على توجيهه نحو الحوار البنّاء والمشاركة المسؤولة.

بقي شيء...

في الختام، يمكن القول إن الضجيج والحراك الشعبي وجهان لعملية اجتماعية واحدة؛ فالأول يعكس تنوع الأصوات داخل المجتمع، والثاني يجسد حركته نحو التغيير. وبينهما تتشكل ملامح الوعي الجماعي الذي يسهم في بناء مجتمعات أكثر قدرة على التعبير عن مصالحها وتحقيق تطلعاتها.

**** مواطن عراقي كتب يقول:**

قبل يومين نزلت منشور قلت فيه بالحرف الواحد:
اللهم انتقم من كل دولة ساهمت بقتل كل عراقي وان شاء الله تبين حوبة العراقيين..
صارت عليه حملة قويه اللي يكلي أنت تقصد إيران واللي يكلي أنت تقصد السعودية واللي يكلي فلسطين سبب دمار العراق واللي يكلي انت شنو دخلك بالعراق ـ ولله العظيم أتعجب كل العجب من هاي الناس المريضة نفسيا اللي ما عدها كل ولاء وحب للعراق..
أولا ـ إني ما قصدت أي دولة معينة ولا ذكرت أي دولة معينة إني احب بلدي العراق وغيرتي عليه تخليني ادعي من كل قلبي على كل شخص يقتل أي عراقي أو يفكر بخراب العراق إذا سابقا أو حالياً.
رجاء لحد يكعد ينظر و يحلل براسي و يكتب كلام اكبر من راسه...
الله يحفظ كل دولة وقفت مع العراق
ولله ينتقم من كل شخص أو دولة اذت العراق !!

قراءات

قصص قصيرة / خيبات تحت سماء العراق

أسعد عبدالله عبد علي

(1)
مشنقة بتوقيت بغداد الجديدة

ثمة تواريخُ لا تكتفي بالمرور في تقويم العمر، بل تعسكر في الذاكرة كجيشٍ مدجج بالغياب. يوم الرابع من حزيران عام 1997؛ لم يكن مجرد أربعٍ وعشرين ساعة عبرت ركود الأيام، بل كانَ فخاً زمنياً أطبق على روحيهما معاً. كلما فرّا من خطوط التجاعيد على وجهيهما، أعادهما التفصيل ذاته إلى ذلك الزقاق، وإلى الساعة التي تجمدت عقاربها عند حافة الانتظار. كان موعداً مشحوناً بالوعود، لكن القدر غافلهما ليترك الحكاية معلقةً في المنتصف.

ساعة الجدار في مطعم "الدامياء" لم تكن تقدم الوقت، بل كانت تطحنه طحناً بطيئاً مرعباً. في تلك الزاوية القصية من "بغداد الجديدة"، كان يجلس وحيداً، يراقب عقرب الثواني وهو يغرس إبره المعدنية المدببة في لحم صمته وانتظاره المتفحم. في ذلك الزمن الذي يخلو من الهواتف المحمولة، يغدو الجلوس دون جليس مواجهة عارية، شرسة ومباشرة مع المجهول، حيث ينبثق الوقت من إطاره الفيزيائي البارد ليتحول إلى وحش ضاري ينهش الوعي.

للمرة الثالثة، يقتحم النادل عزلته بابتسامة متكلفة صيغت من مجاملات باهتة، ليقذف في وجهه سؤاله الرتيب: "تطلب شي عيوني؟"، فيكتفي بإيماءة نفي خرساء، شاعراً بكلمات النادل كأنها وخز ميكانيكي حاد يجلده، ويذكره بعبثية الموقف وهوانه.

غرق في لجة مونولوج داخلي سحيق، متسائلاً بمرارة فلسفية: أليس الانتظار في جوهره اعترافاً صامتاً ومذلاً بأن وجودنا كائنات ناقصة، ومبتورة لا تكتمل إلا بعبور الآخر؟ وماذا لو كان هذا الآخر بأكمله مجرد وهم ركّبناه في مصانع المخيلة المهجورة؟

بدأت الظنون السوداء تنهش هدوءه المصطنع، وتقذف بعقله القلق بين سيناريوهات الفجيعة؛ هل الأمر كله مجرد مقلب فج وألعوبة طفولية دُبّرت لكسر كبريائه المتغطرس؟ أم أن عارضاً أسود في منعرجات شوارع بغداد ودروبها قد خطفها من الوجود؟ أم أنها، وهو الاحتمال الأكثر إيلاماً، لا تحبه، وأن هذا الغياب هو رسالة رفض واضحة؟

مع كل فكرة مسمومة كانت تتخلق في رأسه، كان الهواء في الصالة يغدو رصاصاً كثيفاً يمتص الأكسجين من رئتيه، وجدران "الدامياء" تضيق وتزحف نحوه لتطبق على أنفاسه. امتدت أصابعه المرتجفة في حركة مذعورة إلى ربطة عنقه، فكّ عقدتها بعنف أهوج وهو يشعر باختناق حاد وضيق لم يكن يسببه القماش قط، بل تسببه فكرة الخذلان التي طوقت عنقه كحبل مشنقة.

لم يعد يطيق البقاء في دور الطرف الأضعف، ذلك الطرف المهزوم في معادلة الانتظار, انتفض واقفاً بغتة، حاسماً أمره بمرارة تقطر قيحاً، وغادر المكان بخطى متعثرة وهو يهمس لنفسه باحتقار مبطن بالهزيمة: لعنة الله على الحب... إنها لعبة خاسرة.

بعد رحيله بنصف ساعةٍ قطّعت نياط الأمل، وصلت هي، والأنفاس في صدرها تتسابق مذعورةً مع دقات قلبها الخائف، ووجهها الشاحب يحمل آثار رعبٍ حقيقي خطّته تضاريس ازدحام بغداد الخانق، حيث حافلات "الريم" والسيارات المتكدسة كأجسادٍ بلا أرواح شلّت الحركة تماماً في الشارع العام، لتقضي نصف ساعةٍ مريرة، بائسة، وهي عاجزة في هذا العصر الخالي من الهواتف عن إبلاغه بأي وسيلةٍ أنها تقاتل الوقت في الطريق إليه.

صعدت درج المطعم مهرولة، والكون يضيق في عينيها اللتين تتلفتان بجنونٍ بحثاً عن ملامحه التي رسمتها في خيالها لأيامٍ ولياليٍ، لكن الزاوية كانت فارغةً كفراغ روحها، والمقعد بارداً كبرود الموت، والنادل ينظف الطاولة بنظرةٍ آلية خالية من أي اهتمام.

في تلك اللحظة، سقطت فوراً في فخ الأسئلة النفسية القاتلة، ولكن من الطرف المقابل للوجع ذاته؛ فتساءلت بمرارةٍ تنهش وعيها إن كان ما جرى مقلباً خبيثاً منه ليعاقبها ويهين أنوثتها، أم أنه خدعها منذ البداية ولم يطأ المكان أصلاً، أم أنه ببساطة لا يحبها بما يكفي ليدفع ثمن الانتظار؟

اصطدمت فلسفتها بجدار الواقع الأصم، وتساءلت بمرارة غاضبة عن هشاشة هذا الحب المزعوم الذي لا يحتمل اشتياقه صبر نصف ساعةٍ على أرصفة الأعذار، وعما إذا كانت "الأنا" لديه قد تضخمت وتورمت إلى حدٍ قتل فيه كل احتمالات الالتماس والتماس العذر.

هبطت درجات "الدامياء" بخطى وئيدة واجفة، كأنما تجر خلفها سلاسل الخيبة وأثقال انكسار مرير. كانت تمشي كأثر عابر يلملم شظايا كبريائها الجريح، في عصر غاشم بدائي، شحت فيه سبل الوصال وغابت وسائل التواصل الفوري، لتسوده قسوة الأحكام الجائرة المتسرعة، وتتحكم بمصائره قطيعة أبدية لا رجعة فيها.

ومثل غيمة حالكة مثقلة بالسموم واللواعج، نفثت في فضاء "بغداد الجديدة" زفرة حارقة، صاغتها في عبارة واحدة اختزلت بها دوي خيبتها التي هزت أركان روحها، فقالت بنبرة غلبها الأسى: "سحقاً للحب... و.."... ومع تلاطم الحروف في فم المدينة، بقيت تلك الـ "واو" معلقة في الهواء كمشنقة للأمنيات، تاركة خلفها صدى مأساة لم تكتمل، وعاصفة من الصمت تبتلع ما تبقى من حطام القلب.

(2)
قرابين في محراب بعل

في تلك المساحة الرمادية الشاسعة التي نطلق عليها تارةً "الحب" وتارةً "الصداقة"، غرسنا معاً حكايات دافئة، وتقاسمنا فيها تفاصيل صغيرة؛ خبز الأيام، وملح العِشرة، وأسراراً ظننا أن الليل لن يفشيها أبداً .

كانوا يرتدون أقنعة نُسجت من خيوط النور، ملامح ممعنة في الرقة والقرب، حتى خُيل لقلبي الأخضر أن أرواحنا تآخت في السماء قبل أن تلتقي أجسادنا على الأرض. بسلامٍ طفولي، أودعتُ روحي في أكفهم، ونمتُ ملء جفوني مستنداً إلى جدار ثقتهم، واثقاً أن الجدران لا تميل.

لكن الحياة قطارٌ غريب، يسير على سككٍ عوجاء؛ في محطاته المقلوبة، يرتفع الزيف ليتصدر المشهد، بينما يُدفع بالنقاء ليتوارى في الخلف.

تتمة ص التالية

فجأة، ومن مسافةٍ لا تفصل بين القلب والقلب، انغرس النصل في الظهر. لم تكن الطعنة مؤلمة لحدة معدنها البارد، بل لهوية تلك اليد الدافئة التي حملتها. التفتُّ لأرى ذلك الوجه الذي طالما أملتُ فيه خيراً، وقد انسلخ عن قناع النور ليفرز ملامح غريبة، تبتسم بانتصارٍ رديء. يا للمفارقة.. أولئك الذين أمسكتُ بأيديهم طويلاً وعلّمتهم كيف يمشون، كانوا أول من ركضوا بخيولهم فوق جراحي.

تتحدث الأساطير الغابرة عن انبعاث العهود المظلمة، وعن دبيب الحياة في عروق طرقاتٍ موحشة، عاد التاريخ ليمهدها كي تُعبد فوقها الآلهة الراقدة في جوف الإثم. هناك، في العتمة الارتدادية للبشرية، يُرفع "بعل" من جديد؛ إله الغدر المكلل بالخديعة، وسيد الشرور التي تفيض بها نفوسٌ خلعت ثوب آدميتها.

حين التفتُّ لتقصّي أثر الطعنة، ونظرتُ في عيونهم، لم أرَ مجرد ملامح بشرية غادرتها المروءة وجفت فيها دماء الحياء، بل أبصرتُ معابداً كاملة البنيان قائمة في مآقيهم، وقرابين من لحمي تُذبح على نيتهم، وتراتيل خفية من المكر تُتلى في محراب ذلك الوثن القديم.

لقد شيّدوا حيواتهم، وجلسوا على عروش صعودهم الزائف، لكنها عروشٌ واهية نُحتت من التواء الخيانة، وقامت على جماجم الوعود. ما أشد مفارقات الوجود؛ إننا نموت مرة واحدة بنصل الغرباء، لكننا نموت ألف مرة في اليوم الواحد لأننا أسندنا أرواحنا إلى جدرانٍ حسبناها قريبة، فكانت أول ما سقط علينا.

وهنا يقف القلب على حافة السؤال الكبير: هل يملك الغدر القدرة على مصادرة حقنا في الأمان وسلبنا فضيلة الثقة بالآخرين تماماً، أم أنه ليس سوى منخلٍ قاسٍ وضعتْه الحياة لتنقية دروبنا من أصحاب الأقنعة والمسوخ؟

(3)
صك الحياة وطابور القيامة

كانت شوارع بغداد تتلوى، تلفظ زفيرها الساخن تحت سياط تموز الذي استحال ذلك العام سوطاً من غيظ. لم يكن قد انقضى على زلزال "سبايكر" سوى شهر واحد؛ ثلاثون يوماً عبرت كأنها جذاذات من دهر سرمدي معجون بالجمر والترقب .

كانت الأزقة حبالاً من مآتم، انتشحت البيوت فيها برداء ليل طويل لا فجر له، فيما الأمهات، كجوقة من الثواكل الأبديّات، يمشطن بأصابع مكسورة ملامح البنين الغائبين العالقة على أرصفة الفقد والشوارع المذهولة.

في جوف تلك العتمة الخانقة، كان "ضياء" يقبع في ركن جرحه، مطوقاً بذراع الأسى، كمن يجلس في مقبرة جماعية للأمنيات؛ يقلب في دفتر ذاكرته النازف وجوه الرفاق الذين عبروا نهر الرحيل بلا التفاتة، ولم يتركوا وراءهم سوى صدى ضحكاتهم المصلوبة على سياج القاعدة. وفي غمرة هذا الانكسار، خدش الصمتَ الرتيب رنينٌ مباغت؛ رنين برقم غريب، وافد من مجاهيل الصدمة كأنه طائر نعي لم يألفه من قبل.

تحامل على كاهله المتعب، وضغط على زر الإجابة بصوت خفيض يغشاه غبار الإنهاك، مستفهماً عن طارق هذا الأرق الجديد. ومن الطرف الآخر للغياب، انبعث عبر السلك صوت متهدج، تائه، مثقل بأنفاس الموصل القديمة ومسكوناً برائحة الخوف الرمادي، ليهمس كمن يستجلي شبحاً: "أأنت ضياء؟... أنا صديقك مصطفى محمود. الحمد لله على انبعاثك يا أخي.. أخبرني، أأنت حقاً ما زلت تدب على قيد هذه الحياة؟."

انسابت تلك الكلمات في روع ضياء كالموج البارد المباغت في جوف ليلةٍ محترقة؛ صدمةٌ أعادت إلى عروقه تجمد الخوف القديم بعد أن ظن أن اليأس قد وطّن نفسه. تنهد تنهيدةً طويلة، كمن يزيح عن صدره ركام مدينةٍ مهدمة، وتنفس بمرارةٍ لاذعة تشبه طعم الرماد، ثم قذف بحروفه عبر المدى وقال:

نعم، أنا ضياء...الأثر المتبقي من ذلك الخراب. أنا الذي لم أخرج مع رفاقنا يوم انفتحت أبواب الجحيم، بل بقيتُ معلقاً بانتظاري، مرابطاً في جدار الصمت داخل مقر القيادة بقاعدتنا المنكوبة. لكني، يا مصطفى، رأيتك... رأيتك بعينيّ هاتين اللتين لا تزالان تبصران الكابوس كلما أغمضتهما؛ رأيتك وأنت تخطو بروحك وسط ذلك الطابور الطويل الممتد، طابور السائرين نحو حتفهم بلا رجوع.

لقد حصدوهم جميعاً يا صديقي، قطفوا أعمارهم بدمٍ بارد ومضوا، استشهدوا وتركوا قلوبنا وراءهم منازل مهجورة تنزف دماً يرفض الجفاف... فكيف أفلتّ أنت من تلك المقصلة؟ أخبرني، بحق السماء التي شهدت انكسارنا، كيف تملصت من بين تلك المخالب الضارية للموت؟ وكيف بقيت حياً لتهاتفني الآن، والجميع هناك صاروا تراباً وأسماء مستباحة؟."

ساد في المدى صمتٌ جلموديّ ثقيل، صمتٌ رصاصي تآكلت فيه الأنفاس وضاق به فضاء الهاتف، حتى تخثرت الدموع خلف الأسلاك وتحجرت في مآقي الروح قسوة اللحظة. كانت برهة من الزمن بدت كأنها نزاع احتضار طويل، قبل أن يقرر مصطفى شقّ هذا السكون الكثيف ويبوح بسر النجاة المرّ؛ السر الذي نزل كشفرة صَدِئة تقطع نياط القلب وتدمي الضمير الإنساني:

لقد نصبت لنا الأقدار فخاً على مسافة من القاعدة، حيث أوقفتنا هناك عشائر تكريت، وحشرونا في طابور جنائزي طويل ومرعب، كان يشبه في وحشته طابور القيامة المؤجلة. هناك، لم يكونوا يفتشون في جيابنا، بل كانوا يفتشون الوجوه ويدققون في الحروف الميتة على ورق الهويات بدمٍ أبرد من مياه الموت؛ فمن وجدوا أن لقبه يتصل بعروق عشيرةٍ سنية، أفسحوا لعمره الممر، ومنحوه هواء زائداً وقالوا له اذهب إلى أهلك سالماً..

أما من قادته الصدفة العاثرة وكان لقبه يعود بجذوره إلى عشائر الجنوب الشيعية، فقد كانوا يعزلون جسده وروحه على صفحة الغياب، كمن يُفرز حطباً يابساً، تمهيداً لكسر كبريائه وإطفاء شمعة حياته إلى الأبد. أنا... عشيرتي (سبعاوي) يا ضياء، هذه الحروف القليلة كانت درعي الواقي، صكي الوراثي الذي جعلهم يتركونني أتنفس. والآن، بعد أن تيبس الدم في العروق، نفضتُ عن كاهل عائلتي غبار الخوف المذل، وخرجنا نهيم على وجوهنا في منافي الأرض، نلتمس ملاذاً في أربيل."

انطفأ الصوتُ وانقطع الخيط، تاركاً خلفه رنين الصمت يطبق على أنفاس الغرفة ككفنٍ رمادي. بقي ضياء مصلوباً في العتمة، يحدق بنظراتٍ زجاجية في سديم الفراغ، كمن يشهد انهيار العالم في لقطة بطيئة. في تلك اللحظة، تيبست في روعه غصةٌ قاحلة، أعمق وأشد مرارة من مجرى دجلة حين يشحّ ماؤه في مواسم الجفاف وينكشف قاعه عن تشققات الوجع الطيني.

كان عقله يغرق في لجة وعيٍ مرير وسوداوي، وهو يتأمل كيف يمكن لبضعة أحرفٍ خُطّت على ورق الهوية البالية، أن تتحول في لحظةٍ غادرة إلى ميزان لقيامة عبثية، يمنح صكوك الحياة لاسمٍ، ويقود لقباً آخر إلى مقصلة عمياء تصدر أحكام الإعدام الفورية بناءً على سلالة الطين .

لقد أدرك، بنفاد صبر الروح، أن الفاجعة لم تنتهِ عند حافة النهر ولم توقفها لغة الرصاص؛ بل نفثت سمومها لتترك وراءها عقوبة "النجاة المشوهة"، أرواحاً نجت بهياكلها وأجسادها فقط، لكنها ماتت سيكولوجياً من فرط الحزن والأسى، لتكمل رحلة العمر كجثث مؤجلة الدفن، تحمل في صدورها وجع رفاقها الغائبين.

* قصة حقيقية من قصص مجزرة تكريت (قاعدة سبايكر) عام 2014

آراء حرة

قضايا النفط والغاز في منهاج الحكومة الجديدة (2026-2029)

احمد موسى جياد *

يتكون **المنهاج** من الديباجة واربعة عشر محور ومرتكزات تنفيذ المنهاج. تقديم المنهاج مطلب دستوري للحصول على ثقة مجلس النواب وعلى تركيبة الحكومة الجديدة، ويشكل الأساس الذي يعتمد لإعداد **البرنامج** الحكومي التفصيلي الذي تلتزم الحكومة بتنفيذه.

تهدف هذه المداخلة الى مساعدة وزارة النفط، باعتبارها المعنية والمسؤولة عن القطاع النفطي، في اعداد المكونات التفصيلية لمحور النفط والغاز في البرنامج الحكومي.

تتكون المداخلة من قسمين: يتناول القسم الأول عرض نصوص بنود محور النفط والغاز وتحليلها كل على حدة، ويتناول القسم الثاني بعض القضايا والمواضيع النفطية المهمة التي اغفلها المنهاج، والتي اقترح على وزارة النفط ادراجها في البرنامج التفصيلي التنفيذي لمحور النفط والغاز.

القسم الأول: مضامين المنهاج والملاحظات عليها

تضمنت الفقرة "ثانيا" المحور الثالث "الطاقة" في المنهاج تسعة بنود بشأن النفط والغاز. بعد القراءة المتأنية واعتماد منهجية تحليل النص وسياقه، أقدم في هذا القسم من المداخلة نص كل من هذه البنود وملاحظات مقتضبة جدا عليها.

اتسمت معظم نصوص البنود التسعة بالعمومية والصياغة الفضفاضة ذات الطبيعة الخطابية والتكرار وضعف فهم وتجاهل واقع ومتطلبات القطاع النفطي والمفاهيم المعروفة في الصناعة النفطية، كما موضح ادناه.

"بناء شراكات استراتيجية مع شركات النفط الدولية على وفق نموذج يضمن تحقيق المصالح الوطنية."

أولا: يتكون القطاع النفطي العراقي من أربع قطاعات جزئية رئيسية متباينة في المهمة والهيكل التنظيمي والاطر القانونية، ولكنها متكاملة ضمن القطاع النفطي. ان ما يجب ان ينظم العلاقة بين تلك القطاعات وشركات النفط الدولية هي العقود الملزمة كأدوات قانونية، سواء بوجود او عدم وجود "شراكات استراتيجية" مع تلك الشركات. ولا يجوز حصر واشتراط توقيع العقود مع شركات النفط الدولية باي شكل من اشكال الشراكات الاستراتيجية.

يضاف الى ذلك ان مفهوم الشراكة الاستراتيجية في القطاع النفطي بحاجة الى تحديد دقيق صحيح وعملي.

ثانيا: وبسبب التباين الكبير في طبيعة ونوعية واهمية نشاطات القطاعات النفطية الجزئية، تتباين تبعا لذلك العقود مع الشركات الدولية المنفذة. وعليه لا يمكن وليس من المعقول فنيا وقانونيا اعتماد "نموذج" معين. مثلا: تختلف عقود تطوير الحقول باختلاف حالة ونوعية الحقول، وتختلف عن عقود الرقع الاستكشافية. وعقود بناء المصافي تختلف كليا عن عقود توسيع منافذ التصدير، وعقود حفر مجموعة من الابار النفطية تختلف كليا عن عقود مد انابيب النفط الغاز...وهكذا.

ثالثا: التركيز على ما "يضمن تحقيق المصالح الوطنية" غير كافٍ، مطاط للغاية ولا يلبي المبدأ الدستوري الذي يلزم بتحقيق "اعلى منفعة للشعب العراقي".

"انجاز مشاريع الغاز المصاحب وزيادة انتاجه ورفع نسبة إيقاف حرقه في سد الحاجة المحلية وتقليل استيراده."

أولا: من الاوليات المعروفة، ارتباط انتاج الغاز المصاحب بإنتاج النفط الخام. ولكن لم ترد حتى ولا كلمة واحدة عن انتاج النفط الخام في فقرة النفط والغاز. فكيف تحقق الحكومة الجديدة زيادة انتاج الغاز المصاحب مع اغفال انتاج النفط الخام!!؟؟

ثانيا: التزمت وزارة النفط بمبادرة البنك الدولي "صفر حرق الغاز المصاحب" بحلول 2030/2029، أي بنهاية عهد حكومة الزيدي. وهذا الالتزام يحتم على الحكومة الحالية انهاء حرق الغاز المصاحب بنهاية ولايتها.

ثالثا: لا يصدر الغاز المصاحب ولا يستورد كما هو. لابد من معالجته والاستفادة من مكوناته المختلفة في الصناعات البتروكيماوية، وما يصدر منه يكون بأحد الاشكال التالية: الغاز الجاف او ما اصطلح على تسميته غاز الانابيب، الغاز السائل LPG والغاز المسال LNG.

"تعزيز البنى التحتية لزيادة وتنويع منافذ التصدير من خلال بناء وربط شبكات النقل بالأنابيب، وتوسعة موانئ التصدير وتطويرها وزيادة سعاتها الخزنية."

هذا موضوع مهم جدا ويجب ان يحظى بأولوية تنفيذية مباشرة، حيث توجد مشاريع عديدة ذات علاقة وخاصة في منافذ التصدير الجنوبية اعتمدت منذ عدة سنوات ولكن تلكئت الوزارة بتنفيذها. فليس من المصلحة الوطنية اهمال تنفيذ مشروع توسيع خزانات الفاو، واقتراح بناء خزانات في ميناء دقم في سلطنة عمان!!! كما ليس من الصواب المهني تفكيك مجمع المفتية في البصرة لبناء شاليهات وحديقة حيوانات!!

"العمل على تشريع قانون النفط والغاز."

يتكرر ذكر تشريع هذا القانون في جميع مناهج وبرامج الحكومات المتعاقبة، وبطلب من حكومة الإقليم. وعلى الرغم من عرض ومناقشة عدة مسودات منذ عام 2004 وبمناسبات عديدة، إلا انه لم يتم الاتفاق على أي مقترح لأسباب جوهرية شائكة عديدة لا مجال للخوض بها. ومن الجدير بالذكر عدم الإشارة الى هذا القانون في البيان الرسمي عن اللقاء بين رئاستي الحكومة الاتحادية وحكومة الإقليم الذي عقد في بغداد 23 ايار 2026، علما توجد أصوات في مجلس النواب تدعو لتشريع القانون.

"إعمال "قانون الاستثمار الخاص في تصفية النفط الخام رقم 64 لسنة 2007" لزيادة الطاقة التكريرية في المصافي النفطية ورفع حجم الصادرات للمشتقات النفطية."

أولا: على الرغم من مرور عشرون عاما على تشريع القانون واجراء تعديلات عديدة مغرية عليه، لا مبرر اقتصادي لها، لم يتم، لغاية تاريخه، اكمال تنفيذ أي مصفى استثماري.

ثانيا: تم خلال فترة وزير النفط عادل عبد المهدي في النصف الأول من حكومة حيدر العبادي توقيع عقد مصفى ميسان الاستثماري مع شركة ستاريم السويسرية، المفلسة ماليا وغير المؤهلة فنيا ومعدومة الخبرة في انشاء المصافي الحديث على أساس يورو 5 وبطاقة 150 الف برميل يوميا. لم تعد وزارة النفط حتى على ذكر هذا المصفى!!!

ثالثا: تم خلال فترة وزير النفط جبار لعيبي في النصف الثاني من حكومة حيدر العبادي الترويج الى وتوقيع عقد مصفى الفاو الاستثماري بطاقة 300 الف برميل يوميا. بعد حوالي عشر سنوات، لم تنشر اية بيانات حتى عن بداية تنفيذ المصفى.

ثالثا: أُعلن خلال حكومة محمد السوداني رفع الطاقة الإنتاجية لعدد من المصافي القائمة، التي يكون زيت الوقود/النفط الاسود حوالي نصف انتاجه. وقد صرح السوداني بزيادة الطاقة التصميمية للمصافي في عهده الى 1.2 مليون برميل يوميا. علما ان انتاج النفط الأسود يشكل محددا مهما لإنتاج المصافي في حالة تعثر تصديره.

---

* استشارية التنمية والأبحاث

تتمة ص التالية

رابعا: لازال الموقع الالكتروني لوزارة النفط، ومنذ عدة سنوات، يواصل الإعلان عن العديد من المصافي للاستثمار. دون اية استجابة جدية.

"تعظيم الإيرادات من خلال سلسلة ذات قيمة متكاملة عبر تحديث المصافي، وتطوير الصناعات البتروكيماوية."

أولا: هذا البند يكرر البند السابق، ولكن بصيغة مختلفة! ومع ذلك فان ما يجب نهجه هو بناء مصافي حديثة تستجيب لمتطلبات الطلب المتزايد على المنتجات النفطية، ولان ذلك مجدٍ اقتصاديا أكثر من "تحديث المصافي" القديمة القائمة حاليا والتي يبلغ زيت الوقود/النفط الأسود حوالي نصف انتاجها. لقد قامت وزارة النفط عام 2012 بتكليف شركات استشارية دولية لإعداد دراسات FEED تفصيلية لخمسة مصافٍ حديثة بمستوى "يورو5"، فلماذا يتم تجاهلها والدعوة لتحديث المصافي القديمة وطاقتها الإنتاجية المحدودة!

ثانيا: ان انشاء المصافي الحديثة وتطوير الصناعات البتروكيماوية تمثل شكل من اشكال **التغييرات الهيكلية العمودية المطلوبة** في القطاع النفطي وفي الاقتصاد العراقي: أي التغيير الهيكلي باتجاه سلسلة قيم Value Chain مرتفعة، بدلا من تصدير النفط الخام. ولهذه التغييرات الهيكلية العمودية المطلوبة مزايا عديدة، ضمن منهجية التنمية المستدامة، بضمنها الايرادات المالية. فلماذا يركز المنهاج الحكومي على جانب الإيرادات المالية فقط، ويغفل الجوانب الأخرى المهمة للغاية!!

ثالثا: كثفت التصريحات الرسمية لحكومة السوداني خلال فترة الاعداد للانتخابات على "هبة المصافي" التي دعت الى ووعدت بتوسيع المصافي والبتروكيماويات في المحافظات المنتجة. هذا النهج المتخبط غير المدروس يحتاج الى المراجعة الجدية، واعتماد، بدلا عنه، تخطيط الأولويات المستند على الجدوى الاقتصادية المقارنة.

رابعا: على قدر تعلق الامر بصناعة البتروكيماويات، أرى من المفيد التذكير بمصير ثلاثة مشاريع: مشروع "نبراس" مع شركة شل ووزارة الصناعة والمعادن، حيث انسحبت الشركة بعد عشر سنوات من التفاوض. مشروع البتروكيماويات ضمن مصفى الفاو، الذي لم يتم البدء بتنفيذه بعد عشر سنوات من إعلانه. مشروع البتروكيماويات ضمن مشروع تطوير حقل الطوبة/مشروع البصرة المتكامل الذي اعتمدته حكومة السوداني. اليس من المفروض التركيز على تنفيذ هذه المشاريع وتحديد أولويات تنفيذها في ضوء دراسات الجدوى الاقتصادية المقارنة، بدلا من الوعود الشعبوية المتخبطة!!

"رفع نسبة الاكتفاء الذاتي من المشتقات النفطية والغاز الطبيعي، وتقليل الاستيراد وتحويل تكلفته الى إيرادات تدعم التصدير."

أولا: تحليليا، يكرر هذا البند، من حيث الجوهر، ما ورد في البندين السابقين 6 و7. يضاف الى ذلك ركاكة صياغته وهشاشة المنطق الاقتصادي التنفيذي الذي يستند عليه.

ثانيا: ألم تعلن حكومة السوداني تحقيق الاكتفاء الذاتي في انتاج المشتقات النفطية في الربع الأخير من عام 2025 وأوقفت استيراد تلك المشتقات ابتداء من عام 2026! ثم اضطرت، بسبب العدوان الأمريكي-الاسرائيلي على إيران، الى استيراد النزين والديزل/كازاويل، بل وحتى غاز الطبخ LPG بعد بروز ازمة توفرها في الأسواق الداخلية بشكل كبير وواضح.

ثالثا: يبدو ان من اعد بنود المنهاج هذه غير ملم بتبعات ازمة مضيق هرمز على الاقتصاد العراقي عموما والقطاع النفطي خصوصا، على قدر تعلق الامر بإنتاج وتصدير واستيراد المنتجات النفطية.

"انجاز المحطات الثابتة لاستيراد، وتصدير الغاز في ميناء الفاو الكبير."

أولا: هذا البند غير دقيق تقنيا وهيكليا وتعاقديا. فهذه المحطات مخصصة حصرا باستيراد الغاز المسال LNG.

ثانيا: تأخر تنفيذ شركة "إكسيليريت إنرجي" الامريكية لهذا المشروع بسبب العدوان. كما تشير المعلومات الى قيام الشركة بتوجيه المعدات المخصصة لمشروع الفاو الى مشروعها في الأردن، مما سيؤثر حتما على تأخير انجاز مشروع الفاو الى العام القادم.

ثالث: وفيما يتعلق باستخدام المحطات لتصدير الغاز المسال من العراق، فهذا غير ممكن خلال حكومة الزيدي لأسباب تقنية ولوجستيكية ومالية ومحدودية توفر كميات الغاز التي تبرر جدوى تسييل الغاز المكلفة للغاية.

"تطوير الصناعات التحويلية وربط النفط والغاز بسلاسل القيمة الصناعية."

يكرر هذا البند، من حيث الجوهر، ولكن بعبارات اخرى، ما ورد في البنود 5 و6 و7. وعليه ما ذكر بشأن تلك البنود ينطبق على هذا البند.

القسم الثاني: مسائل مهمة اغفلها المنهاج

اضافة الى ما تقدم فقد أهمل المنهاج مسائل اساسية ومهمة للغاية ومؤثرة تتعلق بالنفط والغاز على مختلف المستويات القطاعية والاقتصاد العراقي والمحيط الإقليمي والارتباطات الدولية وأسواق النفط الرئيسية وغيرها.

اولا: لا يبدو ان للحكومة الجديدة سياسة نفطية، حيث لم تتم الاشارة ولو بجملة واحدة الى موضوع السياسة النفطية المتكاملة التي تعتمدها الحكومة وتلتزم بتنفيذها.

ثانيا: لم يذكر أي شيء عن ضرورة تنفيذ مشاريع تطوير الحقول النفطية والغازية المتعاقد عليها حاليا وما يرتبط بها من مشاريع أخرى مثل حقن الماء، وضمن خطط وزارة النفط السنوية لإنتاج النفط واستثمار الغاز المصاحب والغاز الحر خلال فترة الحكومة.

ثالثا: كما انه لم يتم ذكر دور الجهد الوطني المباشر في مشاريع تطوير الحقول ولم يذكر ضرورة زيادة دور الكوادر العراقية في مشاريع تطوير الحقول النفطية والغازية المتعاقد عليها حاليا.

رابعا: عدم ذكر اهمية المحافظة على وتعزيز حصة النفط العراقي في اسواق النفط الدولية الرئيسية، ودور شركة سومو في هذا المجال.

خامسا: إغفال ذكر دور العراق في منظمة اوبك ومجموعة "اوبك+" واهمية سعي العراق لزيادة حصته ضمن انتاج المجموعة.

سادسا: عدم ذكر التعاون الرسمي/الحكومي الثنائي في مجالات النفط والغاز، وخاصة ما يتعلق بأنابيب التصدير، الحقول الحدودية، تمويل المشاريع وغيرها.

سابعا: لم يرد أي ذكر لموضوع الشفافية وتنفيذ التزامات العراق بحكم ارتباطه بمبادرة الشفافية للصناعات الاستخراجية منذ عام 2009، والتي تتطلب الإفصاح التام عن البيانات والمعلومات والاحصائيات والعقود والاتفاقيات المتعلقة بالنشاطات التي تعنى بها المبادرة.

ثامنا: عدم الاشارة الى قرارات الادارة الامريكية وتأثيراتها السلبية على القطاع النفطي وكيفية التعامل لمعالجتها، وخاصة ما يتعلق باستيراد الغاز من او عبر إيران، وعقود الشركات الروسية في تطوير الحقول والرقع الاستكشافية النفطية.

تاسعا: عدم الاشارة الى الازمة المالية، الناجمة عن انقطاع عوائد الصادرات النفطي منذ بداية العدوان الحالي، وتأثيراتها على تنفيذ المشاريع النفطية التي تضمنها المنهاج.

عاشرا: الاغفال التام لازمة حركة الملاحة البحرية في الخليج وبحر عمان بسبب العدوان على إيران، على الرغم من فداحتها وتأثيراتها الكارثية على القطاع النفطي العراقي.

أحد عشر: لم يتضمن المنهاج أولويات محددة وافاقها الزمنية لمشاريع تطوير القطاع النفطي.

أثني عشر: عدم الإشارة الى معالجة القضايا النفطية مع حكومة الإقليم (عدا ذكر موضوع قانون النفط والغاز)، وهل تعتبر الترتيبات التي اتفق عليها خلال حكومة السوداني أساسا للمعالجة.

ثلاثة عشر: لم يتم ذكر ضرورة التحرك الجدي بشأن انبوب النفط العراقي عبر السعودية بهدف استعادته والاستفادة منه كمنفذ مهم لتصدير النفط العراقي عبر ميناء المعجز في ينبع على البحر الأحمر.

مرايا

وهم التصنيف وحقيقة التباين بين جامعاتنا ـ و، أكاديميات بلا قرار... إلى أين النتيجة؟

أ.د. محمد الربيعي

في رحلة البحث عن المعرفة وتطوير المؤسسات الأكاديمية، تبرز "تصنيفات الجامعات" التي تصدرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كحدث سنوي يترقبه رؤوساء الجامعات. ولكن، خلف بريق الأرقام والترتيبات، تتبادر إلى الذهن تساؤلات جوهرية تفرض نفسها على الساحة الأكاديمية: هل تؤدي هذه التصنيفات غرضها الحقيقي في الارتقاء بمستوى التعليم، أم أنها تحولت إلى مجرد أداة للاستعراض الإعلامي، يبهج بها الأوائل في القائمة ويغرق في ظلها الباقون؟

ان الإشكالية تبدأ من المبدأ ذاته، فالجامعات الحكومية في العراق، بحكم طبيعة نظامها، تدار مركزياً من قبل الوزارة نفسها فهي فروع لجامعة واحدة اسمها وزارة التعليم العالي. تضع الوزارة المناهج، وتحدد السياسات، وتُعين الكوادر، وتوزع الميزانيات من قبل الدولة. فكيف لنا ان نبرر وجود هذه الفروقات الشاسعة في التصنيف بين جامعة وأخرى؟ إذا كانت جميع هذه المؤسسات "تنهل من معين مركزي واحد"، فلماذا نجد هذا التباين الذي يوحي بأن بعضها في مصاف الجامعات العالمية، بينما يقبع بعضها الآخر في ذيل القائمة؟

لذا، أقترح أن نستبدل تصنيف الجامعات بـ **'تصنيف رؤساء الجامعات'**، فالتصنيف الحالي يعاقب المؤسسة ويصمها بالقصور، بينما التقييم الحقيقي يجب أن يوجه لمن يملك سلطة التغيير. إن رئيس الجامعة هو المحرك الذي يمكنه تجاوز سطوة المركزية، وهو الذي يحدد بوصلة الابتكار والتميز في بيئة مؤسسته. إن تقييم أداء القيادات الأكاديمية بناءً على مخرجاتها، وقدرتها على الإنجاز وسط التحديات، سيكون أصدق في التعبير عن التسلسل الفعلي للتقدم، وأكثر إنصافاً في تحديد من يستحق الصدارة ومن يحتاج إلى المساءلة. فالمؤسسات لا ترتقي بقرارات ورقية، بل برؤى قيادية تجعل من التميز خياراً لا صدفة.

هنا، يتحول التساؤل إلى نقد حاد للمنظومة. فهل هذه التصنيفات تعبر فعلاً عن "جودة" أكاديمية ملموسة، أم أنها تعكس قدرة إدارية على تجميع البيانات وتعبئة الاستمارات المطلوبة؟ إن وضع جامعات في مؤخرة التصنيف، وتسميتها علناً، قد يحمل رسالة سلبية غير مقصودة، حيث يتم تلقين الطلبة والمجتمع بأن هذه الجامعات "أقل جودة"، مما يخلق نفوراً أكاديمياً واجتماعياً منها، ويضع خريجيها في موقع الدفاع عن شهاداتهم، بينما هم في الحقيقة خريجو مؤسسات وطنية تتبع الهيكل الإداري والتعليمي ذاته.

ان الخطر الحقيقي يكمن في تحول التصنيف من "أداة للتقويم والإصلاح" إلى "مقياس للمفاضلة التنافسية" التي لا تعترف بخصوصية كل جامعة وظروفها. إن التساؤل الملح هو: هل تقدم الوزارة الدعم اللازم للجامعات التي تذيلت القائمة لتلحق بركب الصدارة، أم أنها تكتفي بموقعها كـ "حكم" يعلن النتائج دون أن يتدخل لعلاج الخلل؟

اذا كانت هذه التصنيفات لا تؤدي إلى تحسين حقيقي في المختبرات، أو تطوير طرائق التدريس، أو تقليص الفجوة في مخرجات التعليم، فإنها تظل مجرد تمرين رقمي يخدم "الصورة الذهنية" للوزارة، أكثر مما يخدم الطالب أو سوق العمل. فبدلاً من أن نسأل: "من هو الأول ومن هو الأخير؟"، ربما كان الأجدر أن نسأل: "لماذا لم نصل جميعاً إلى معايير الجودة الشاملة في آن واحد؟".

التعليم العالي ليس سباقاً للخيل حيث يفوز من يسبق، بل هو بناء وطن، فاذا كانت الجامعات في مؤخرة الترتيب لا تحظى باهتمام إضافي، فاننا بذلك نحكم على أجيال كاملة بالبقاء في الصفوف الخلفية، دون ذنب اقترفوه، سوى أنهم التحقوا بمؤسسات تركتها الوزارة تواجه مصيرها في "قاع التصنيف" دون خطة انقاذ حقيقية.

سؤال للتأمل: في ظل المركزية التي تدار بها الجامعات العراقية، هل ترى أن المسؤولية عن تدني مستوى بعض الجامعات تقع على عاتق ادارات تلك الجامعات، ام هي انعكاس طبيعي لسياسات الوزارة في التخطيط والتوزيع؟

اكاديميات بلا قرار

لطالما وقفت متاملا ومستغربا امام هذا التناقض الصارخ الذي طالما ناديت بضرورة اصلاحه وكتبت عنه مرارا، فبين اروقة الجامعات العراقية ومقاعد مدرجاتها، اجدني امام قصة نجاح اكاديمي لافتة تخطها المراة بامتياز، لكنها سرعان ما تصطدم بجدار سميك يعكس انعداما مؤلما للعدالة وتكافؤ الفرص كلما سعت للعبور الى مراكز صنع القرار الاداري.

انه لامر يثير الدهشة حقا ان نرى قاعات الدراسات العليا تعج بالطالبات اللواتي بلغت نسبتهن نحو 69% من اجمالي المقبولين، وتشكل التدريسيات ما يقارب نصف الملاك التعليمي العام بنسبة تتراوح بين 44% الى 49%، ثم نرى هذه الكثافة والفاعلية تنحسر بشكل حاد ومفاجئ كلما صعدنا في الهرم القيادي للتعليم العالي! ان هذا المشهد يكشف لي في كل مرة عن تلك الفجوة التمييزية العميقة التي تفصل بين التاهيل العلمي العالي والاستحقاق الاداري المغيب، وهو واقع يستوجب منا وقفة جادة ومراجعة جذرية.

هذا التناقض الذي يترجم غياب العدالة المؤسساتية يتجلى بصدمة الارقام في مستويات الادارة العليا، حيث تشير البيانات والتقارير الرصدية الى ان تمثيل النساء في منصب رئيس جامعة لا يتجاوز حاجز 2.9% فقط، وغالبا ما ينحصر هذا التمثيل الشحيح في كليات او جامعات مستحدثة مخصصة للبنات لابعادهم عن القيادة العامة، بينما تصدمنا الحقيقة الاكثر اجحافا في مناصب المدراء العامين داخل هيكلية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتي تكاد تسجل نسبة 0%، مما يعني ان احتكار الرجال للقرار الاستراتيجي ورسم سياسات التعليم يتخطى حاجز 97%، في اقصاء متعمد لطاقات نسوية اثبتت تفوقها الرقمي والمعرفي في حقول العلم.

* بروفسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

تتمة ص التالية

وجهة نظر

تأويل سياسي لنظرية داروين!

احسان جواد كاظم

في خضم ما يحدث من تطورات في الشرق الأوسط وانعكاسات ذلك على واقع بلداننا مجتمعة ومنفردة ومن واقع خصوصية تعقيدات الوضع العراقي، نحاول تأويل ما جاء به داروين في نظرية التطور ونقرنها بتطورات مواقف بعض القوى السياسية واذرعها المسلحة في البلاد... فوفقاً للاعتقاد الخاطئ السائد حول " نظرية النشوء والارتقاء " لتشارلز داروين، إنها تستند على مفهوم " البقاء للأقوى" وهو الاعتقاد الذي تبنته، على ما يبدو، الفصائل المسلحة والميليشيات العراقية، من خلال سلوكها، دون دراية، وهي التي بالتأكيد ترفض هذه النظرية لأسباب إيمانية عقائدية، وترمي بداروين في قعر جهنم، لكنها عملياً استندت على هذا المبدأ الملفق الخاطيء عن العالم الطبيعي داروين ونظريته الفريدة، لفرض وجودها.

وبينما كانت قد استفادت، لحين، من تأييد شعبي بعد قتالها الإرهاب فإن هذا التأييد بدأ ينحسر بعد الانتصار على دولة الخلافة الإسلامية داعش، حيث شاركت فصائل الحشد كظهير ساند للقوة الأساسية من جيش وشرطة اتحادية وجهاز مكافحة الارهاب التي قصمت ظهر الارهاب الداعشي وحررت المدن من ربقته. وارتقى بسببها شهداء أبرار كُثر.

وكانت الميليشيات قد استثمرت، تلك السُمعة، بادعاء احتكارها للبطولات بدعم من أحزابها المهيمنة على السلطة والإعلام وإضفاء صفة القدسية على تشكيلاتها لتبرير استخدامها العنف المفرط بقتل شباب انتفاضة تشرين 2019 الشعبية لضمان بقائها على سدة الحكم...

ولكن أغلب هذه الفصائل والميليشيات أدركت متأخرة، أن ضغط الواقع والوقائع تحتم عليها التعامل بشكل مختلف مع المستجدات بعد أن تغيرت ظروف البيئة المكانية لـــــها أي الحاضنة الشعبية وانحسار التأييد لها إلى الرفض بعد قمع أبنائها المنتفضين بوحشية وبعد تسخير هذه التشكيلات سلاحها، الذي يُفترض أن يتكرس إلى حماية الاستقرار والتنمية بعد الانتصار على الإرهاب، إلى وسيلة للهيمنة والنفوذ والابتزاز المالي وفرض الإتاوات.

لذا أصبح لزاماً عليها التزام الأصل الصحيح الذي بشّر به داروين وهو " البقاء للأصلح " من خلال " تكيّف كل كيان مع بيئته " وما تفرضه الحياة للحفاظ على استمرار نوعها السياسي وكيانها الوجودي وعدم انقراضها.

لاسيما بعد أن طال التغيير، ليس فقط البيئة المكانية الحاضنة، بل ظروف المناخ السياسي العام في المنطقة، و لغير صالحها ايضاً، بعد الحرب الامريكية الاسرائيلية على ايران الاسلامية وتراجع مشروع الهلال الشيعي والهيمنة الإيرانية التوسعية وتنامي، من ثمة، دور أمريكا بعد فقدان الجمهورية الإيرانية لسوريا الأسد وإضعاف حزب الله اللبناني وانحسار دور الميليشيات العراقية الموالية لإيران وتراجع ثقة المواطن الشيعي العراقي، بالخصوص، بصدقية مشروع أحزاب الإسلام السياسي الشيعي واذرعها المسلحة، كما ذكرنا، وشعاراتها المنافقة.

لهذا كان نزع سلاحها مطلباً شعبياً عراقياً قبل أن يكون مطلباً امريكياً.

لقد شُنت عملية تشويه ظالمة لمبادئ انتفاضة تشرين السلمية عام 2019 وتخوين لشبابها لمجرد دعوتهم لاحتكار الدولة للسلاح، وتعرضوا بسببها كذلك للإبادة، بينما نشهد اليوم اصطفاف ذات الميليشيات التي قتلتهم لتسليم سلاحها إذعاناً لإملاءات أجنبية متمثلة بترامب وإدارته.

إن مبدأ " الانتقاء الطبيعي " الذي تفرضه الحياة ونزعة البقاء التي تنتاب هذه الاطراف السياسية الاسلامية والميليشيات صيّر تسابقها للاصطفاف بالطابور لنزع سلاحها وتبييض وجهها أمام الأمريكان، واجباً شرعياً، لتجنب العاصفة وفقدان كل شيء، بيد أن ذلك لو تقبله الأمريكان فلن يرتضيه العراقيون.. لأنه لن يكون ضماناً كافياً لهم للاطمئنان على مستقبلهم بعد أن أوغلت، هذه القوى، في دمائهم ونهبت ثرواتهم..

والمعلوم أن هذا بالتأكيد لا يشكل همّاً أمريكياً وليس من أولوياتهم.

إن الارتقاء الطبيعي يستوجب التزاوج الانتقائي ضمن شروط مناسبة، حسب داروين، للإتيان بنوع موائم للظروف الجديدة، وربما لذلك كان تصريح أحد ممثلي الميليشيات الرافضة لنزع السلاح عندما قال : " علاقتنا نحن المقاومون بإيران مترسخة مثل الزواج الدائم، وعلاقة أبناء السفارة الأمريكية (من رفاق السلاح) وقتية مثل زواج المتعة يوم أو يومين وتطردهم ".

من المؤكد أن تحقيق طفرة جينية لهذه الميليشيات نحو الأحسن وارتقاء نسلها بنتيجة هذه الزيجات أعلاه، أمر لا يتوقع المواطن العراقي منه خيراً، بأي حالٍ من الأحوال !

أكاديميات بلا قرار

ومع النزول الاداري نحو القيادات الوسطى، يستمر مشهد غياب الانصاف وان بدا اقل حدة، اذ تتارجح نسبة النساء في عمادات الكليات بين 5% الى 12% فقط، مع حصر معظمها في التخصصات الانسانية واللغات، مقابل اقصاء شبه تام عن قيادة الكليات السياسية والهندسية والتقنية، في حين تسجل النساء الحضور القيادي الملحوظ فقط في رئاسة الاقسام العلمية بنسب تتراوح بين 25% الى 35% لكون هذه المواقع تعتمد مباشرة على الاستحقاق التلقائي للاقدمية الاكاديمية والجهد اليومي الميداني الذي لا يمكن تجاوزه، والذين يهرب منه الرجال لكثرة اعبائه وقلة امتيازاته السياسية.

ان هذا الخلل الرقمي الفاضح وفجوة العدالة القيادية لا يعودان مطلقا لقلة كفاءة المراة الاكاديمية او تراجع مؤهلاتها، بل هما نتاج مباشر لبيئة التعيينات للمناصب العليا التي تخضع لمعايير المحاصصة الحزبية والعلاقات والترتيبات الذكورية خارج اسوار الجامعة، حيث تساهم هذه التوازنات الضيقة في اقصاء الكفاءات النسوية وحرمانهن من التنافس العادل على مناصب تستحقها لغة الارقام والتفوق، مما يجعل من الضروري والملح كسر هذا الاحتكار واعادة النظر في آليات اختيار القادة الاكاديميين لتكون الكفاءة العلمية والعدالة الجندرية هما المعيار الوحيد والفيصل.

***

إضاءات

الصراع الطبقي وإنتاج الوعي...

من وحي قراءة لتراث غرامشي

زكي رضا

"قراءة في دور المؤسسات الثقافية للإسلاميين في العراق ومهمة اليسار في مواجهتها."

ينظر إلى الصراع الطبقي من أنّه صراع بين طبقات اجتماعية مختلفة تتنافس على الثروة ووسائل الإنتاج والسوق. ويتجلّى هذا الصراع بين عامل يبيع قوة عمله ورأسمالي يمتلك وسائل الأنتاج. غير أن حصر الصراع الطبقي في هذا البعد الاقتصادي وحده يُغفل جانبا آخر لا يقل أهمية في تشكيل المجتمع وتوجيه مساراته، وهو إنتاج الوعي والثقافة والمعرفة. أن المجتمعات المتقدمة اليوم لا تقوم على إنتاج السلع التي نحتاجها فقط، بل تقوم بإنتاج الأفكار والقيم. وإذا كان العامل ينتج سلعة نحتاجها في امورنا الحياتية اليومية، فإن المثقف والمعلم والكاتب والفنان والباحث والصحفي والشاعر ينتجون بدورهم سلعا تتمثل في المعرفة والثقافة والوعي. و نتاجات هؤلاء تؤثر في حياة الناس وسلوكهم، وقد يكون تأثيرها أعمق وأطول من أثر السلع التي ينتجها العامل.

نستنتج من هذا إن الصراع الطبقي لا يقتصر بالسيطرة على وسائل الإنتاج ، بل يمتد للسيطرة على وسائل إنتاج الوعي. فالمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية من مسرح وسينما وغيرهما فضاءات منحازة ومختلفة في توجهاتها وفق الجهة التي تمتلكها، كما يمتلك الرأسمالي وسائل الأنتاج ويحدد ما تنتجه وما يكسبه من بيعها. بمعنى آخر هو صراع بين قوى أجتماعية تتنافس من أجل ترسيخ مفاهيمها في السلطة والحياة العامة، أي ان أنتاج الثقافة ومعها الوعي يكون هدف لعملية انتاج السلطة وديمومتها والهيمنة عليها.

أنّ نفوذ القوى الاسلامية في العراق واسع ويمتد الى حضور سياسي فاعل ومؤثر في السلطة، وبرلماني كبير وميليشياوي حاضر كسلاح قمع كلما دعت الحاجة لأستخدامه. ونفوذها هذا لا يقتصر بتلك التي ذكرناها فقط، بل يمتد إلى شبكات واسعة من المؤسسات الإعلامية والدينية والثقافية والتعليمية والتربوية. فقد تمكنت الأحزاب والتيارات الإسلامية منذ هيمنتها على السلطة ونتيجة ثراءها الفاحش من بناء فضاءات مؤثرة تشمل القنوات الفضائية والإذاعات والصحف والسوشيال ميديا، علاوة على المدارس والجامعات الأهلية والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية. وتعتبر هذه المؤسسات أدوات فاعلة لإنتاج المعرفة التي يريدونها والرموز التي يراد عبادتها والقيم التي تسهم في تشكيل الوعي الاجتماعي وإعادة إنتاجه بصورة مستمرة، بما يخدم صراعهم مع غيرهم للاستمرار في السلطة.

أذن فأن هذه المؤسسات تعتبر وسائل إنتاج، فالجامعة رغم بؤس التعليم فيها لا تخرّج اكاديميين فقط، بل تساهم في تكوين رؤية معينة للمجتمع والدولة. والمدرسة لا تكتفي بتعليم الطلبة فقط رغم بؤسها هي الاخرى، بل تقوم ببناء منظومة من القيم والتصورات الأسلامية/ الطائفية خصوصا مع مناهج دراسية تضعها هذه الاحزاب. أما وسائل الإعلام الموجهّة فأنها تمنح الشرعية لبعض الأفكار والأحداث أكثر من غيرها وأحيانا دون غيرها. وهكذا تتحول الثقافة إلى ميدان للصراع لا يقل أهمية عن ميدان السياسة والاقتصاد.

أنّ الاسلاميين وهم يمتلكون هذه القوة السياسية وهذا الحضور الواسع داخل المجال الثقافي والتعليمي والإعلامي، لا يكتفون بالمنافسة على السلطة السياسية وهم يمتلكونها اليوم فعلا، بل يدخلون في منافسة أعمق وغاية بالأهمية والتي

تتعلق بتشكيل الوعي. وهنا يصبح الصراع حول المناهج والخطاب الإعلامي والهوية الثقافية جزء من الصراع على النفوذ داخل المجتمع، بل ربما يصبح أكثر أهمية من الصراع الانتخابي نفسه الذي يعتبروه "ديموقراطيا"، كونه ينتج بضاعة سهلة التسويق في مجتمع منقسم دينيا طوائفيا وقوميا ويعاني من أزمة وعي.

ماذا عن اليسار العراقي الذي يعتبر واحد من اكثر المتضررين من هذا التحول السياسي والفكري والثقافي؟

اليسار الذي كان يمتلك حضور فاعل ومؤثر في الأوساط العمالية والطلابية والثقافية خلال مراحل تاريخية سابقة، نرى اليوم تراجع دوره في ميدان إنتاج الوعي علاوة على جماهيريته، لينحصر نشاطه في المواقف السياسية أو البيانات الاحتجاجية، في الوقت الذي نجحت فيه القوى الإسلامية من بناء مؤسسات اجتماعية وثقافية وتعليمية واسعة. وقد أدى هذا الاختلال إلى فقدان اليسار جزء كبير من قدرته على التأثير الجماهيري رغم سخط هذه الجماهير من الأوضاع السياسية والأقتصادية والأجتماعية السائدة اليوم.

إن أزمة اليسار العراقي لا تكمن فقط في ضعفه التنظيمي أو الانتخابي، ليس لأنه يخسر الأنتخابات قبل أن تجرى وتحسم عبر صناديق الأقتراع لأسباب تتعلق بآليات الأنتخابات فقط، بل كونها تحسم قبل كل شيء في المدرسة والجامعة ووسائل الأعلام وكل الفضاءات الثقافية، وحين يخسر اليسار هذه الأسلحة، فأن النتيجة هي ترك هذه الساحات الى الاسلاميين لصياغة الوعي الجمعي للمجتمع مثلما يشتهون ويريدون.

تتمة ص التالية

تقنين الفساد.. سرقة ترليون ونصف دينار

تداول الاعلام خبراً عن محاولة سرقة تريليون ونصف التريليون دينار عراقي (ما يعادل مليار دولار امريكي) في عملية واحدة لـ 3 متهمين فقط وبحوزتهم 7 صكوك مزورة ومستندات وديعة وهمية.*

وعقب ذلك صرَّح النائب الخبير المهندس عامر عبد الجبار اسماعيل ، أن عملية السرقة رغم أحباطها قبل التنفيذ النهائي لها، الا انها تكشف عن وجود عدة مؤشرات عميقة تدل على ضعف الإجراءات المعتمدة من قبل النظام المصرفي في العراق مالياً وإدارياً، وهو ما كنا نحذر منه طيلة سنوات خلت.

وأضاف عبد الجبار، ان التخطيط والتنفيذ لعمليات سرقة للمال العام من هذا النوع وبهذا الحجم تشير الى وجود فهم عميق من قبل المنفذين والمخططين والداعمين لنشاطات السرقة لآليات أصدار الصكوك وتسلسل الإجراءات الإدارية ومنهجية التدقيق المحاسبي، كما يدل على معرفة واسعة بمكامن الضعف وفجوات التلاعب داخل النظام المصرفي ذاته. وهي جريمة تدرج ضمن فئة الجرائم المنظمة فوق الكبرى (تهديد استراتيجي لأمن الدولة واقتصادها) لكونها بحاجة الى شبكة عمل متكاملة، ويستدل على ذلك قوة المحاولة، حجم المبلغ 1مليار دولار، مستوى التنسيق للوصول الى مرحلة التنفيذ، القدرة الكامنة للمجرمين في محاولة الأختراق المؤسسي لأهم المؤسسات المصرفية في العراق والتي تشمل العلاقات والخبرات لتنفيذ السرقة .

وحذر النائب عامر عبد الجبار من تكرار حادثة سرقة القرن لكن بأساليب وخطط أخرى وأن هذه العملية تصنف كواحدة من محاولات تكرار نهب وسرقة المال العام الى طالما حذرنا منها، وقد تكون هناك عمليات أخرى تم تنفيذها ولم يتم نشرها لغاية الآن أو لم يتم حتى أكتشافها.

وأقترح عامر عبد الجبار رئيس كتلة المعارضة النيابية البنَّاءة، أعتماد الأنظمة الجنائية الاستباقية في مجال الاستخبارات المالية وخصوصاً (الاستخبارات المالية المضادة) عبر استخدام Block Chain (البلوك تشين) لمنع التلاعب فـــي السجلات وتحديد أي تعديل مستقبلي لها والجهة التي تعمل التحديث، مع تبني اجراءات حديثة معتمدة في مصارف عالمية متعددة منها أنظمة كشف الاحتيال اللحظي وهي طريقة تحدد سلوكيات السحب والايداع في وقتها الحقيقي دون انتظار وقوع الخلل أو الخطأ أو محاولة السرقة عبر تجميد الاجراء المالي المشكوك فيه.

وختم النائب عامر عبد الجبار تعقيبه على هذا الخبر، ان الدولة بكامل مؤسساتها والحكومة بوزاراتها ودوائرها يجب ان تقوم بخطوة مركزية لمراجعة منهجية العمل الرسمي وعدم التباطؤ والتواكل والتجزئة لعمليات الاصلاح الوظيفي لمنع جعل الخزينة العامة وموارد الدولة مستباحة بهذا الشكل، و ترك العقليات الاجرامية سيشجع من محاولات تكرار هذه الجرائم وبشكل أكثر احترافية في المستقبل، كون مبالغ السرقة بأرقام فلكية تتجاوز المليار دولار دون ردع استراتيجي حازم من الدولة والحكومة والمؤسسات الرقابية.

***

من خلال تحويل الجريمة إلى منظومة عمل مؤسسية ومحمية تضمن تحقيق أعلى العوائد بأقل المخاطر الممكنة ـ أصبح ـ تقنين الفساد والسرقات في العراق استراتيجية مربحة للعصابات المنفذة.

يتحقق ذلك عبر اختراق القانون: تستخدم العصابات جزءاً من عوائد السرقات لشراء الولاءات ورشوة مسؤولين في أجهزة إنفاذ القانون وأصحاب الحصانة غير الرسمية.. تضمن هذه الرشاوي إما غض الطرف عن أنشطتهم، أو تسريب معلومات الأنشطة الأمنية قبل حدوثها. في حال القبض على أفرادها، تتدخل شبكات الفساد لتخفيف الأحكام أو إسقاط التهم.

غسيل الأموال وإعادة التدوير: يتم ضخ أموال السرقات والفساد في أنشطة تجارية قانونية (مثل العقارات، المطاعم، وشركات المقاولات). تحمي هذه الخطوة الأموال من المصادرة وإضفاء الشرعية لها وجعلها تبدو كأرباح نظيفة ناتجة عن تجارة مشروعة. كما يتيح ذلك للعصابات والشركات الواجهة استخدام أموالهم بحرية في النظام المصرفي العالمي.

الصراع الطبقي وإنتاج الوعي...

ولهذا فإن مهمة اليسار اليوم لا ينبغي أن تقتصر على نقد السلطة أو فضح الفساد أو المطالبة بالإصلاحات السياسية، ولا الدفاع عن مصالح الفقراء فقط، بل التحول من خطاب نخبوي الى خطاب يغوص في عقول الناس ليزرع فيها وعيا يستطيع من خلاله مواجهة السلطة فكريا وثقافيا كبوابة لمواجهة سياسية، إضافة الى ضرورة وحدته أو تنسيق المواقف وتجاوز نقاط الخلاف من أجل مواجهة عدو مسلح بالسلطة والمال والسلاح ومؤسستين تلعبان دورا بارزا في تغييب الوعي الجمعي، أي الدينية والعشائرية.

إن الصراع في العراق اليوم لا يدور حول من يحكم، بل حول من يملك القدرة على تشكيل وعي الأجيال القادمة. وإذا كان الإسلاميون قد نجحوا في بناء نفوذهم من خلال السيطرة على جزء مهم من فضاء إنتاج الوعي، فإن استعادة التوازن لن تتحقق إلا عندما ينجح اليسار والقوى الديموقراطية في بناء فضائهم الثقافي والمعرفي الخاص بهم، وتحويل الثقافة من هامش للعمل السياسي إلى قلبه النابض .

أنّ الأزمات التي يمر بها نظام المحاصصة تجعل تغييره ممكن لكن ليس بالسهولة التي نتوقعها، فهذه القوى ستدافع عن مصالحها بشراسة. فالأزمات والمشاكل التي سببها النظام القائم تعتبر أرضية لنضال القوى المتضررة من أجل تغيير اوضاع البلد، وعدم استغلال الفرص سيدفع ثمنها شعبنا واليسار والقوى الديموقراطية باهضا، ولنا تجارب عديدة في تفويت فرص تاريخية كانت كفيلة في ان يتجاوز شعبنا من خلالها محنه التي لازال يعيشها.

يقول غرامشي "العالم القديم يموت والعالم الجديد يكافح ليولد - الآن هو زمن الوحوش". لو عرّقنا مقولته نستطيع القول: أنّ العراق القديم يموت والعراق الجديد يكافح - الآن هو زمن الأسلاميين الذي على اليسار والقوى الديموقراطية ومن اجل مستقبل شعبنا ووطننا، أن يتفقّوا على اصغر القواسم المشتركة في مواجهتهم.

المادة من وحي قراءة لتراث غرامشي

إستذكار

» فريال أحمد حسن الأسدي« مهندسة الحلم التي واجهت الطغيان حتى الشهادة..

د.كاظم جمعه الغزي

في صفحات التاريخ العراقي أسماءٌ لا تُقاس أعمارها بعدد السنين، بل بما تركته من أثرٍ وموقفٍ وشجاعة. ومن بين تلك الأسماء المضيئة تبرز الشهيدة المهندسة فريال أحمد حسن الأسدي، المرأة التي جمعت بين التفوق العلمي والإيمان بقضايا وطنها، وبين نجاحها المهني وصلابتها في مواجهة الاستبداد، لتصبح واحدة من أبرز الوجوه النسوية التي دفعت حياتها ثمناً لمبادئها في زمنٍ كان فيه الرأي الحر جريمة يعاقب عليها النظام الدكتاتوري بأقسى العقوبات.

ولدت فريال أحمد حسن الأسدي في الثامن من آذار عام 1953 في محافظة ميسان، ونشأت في بيئة أسرية عُرفت بالوعي والثقافة والانفتاح الفكري. وبعد ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958 انتقلت مع أسرتها إلى مدينة البصرة، حيث واصلت مسيرتها الدراسية وبرزت منذ سنواتها الأولى طالبةً متفوقةً ومتميزة في مختلف المراحل التعليمية.

امتلكت فريال شخصية استثنائية منذ صغرها؛ فقد كانت شغوفة بالقراءة والاطلاع، تقضي ساعات طويلة بين الكتب العلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وهو ما أسهم في تكوين وعيها المبكر ورؤيتها للحياة والمجتمع. وكانت تؤمن بأن العلم والمعرفة هما الطريق الحقيقي لصناعة المستقبل، لذلك تطلعت إلى دخول الجامعة وهي تحمل مشروعاً فكرياً وإنسانياً واضح المعالم.

وعندما حان وقت اختيار التخصص الجامعي، اتخذت قراراً جريئاً بدخول كلية الهندسة – قسم الميكانيك، رغم اعتراض والدها وبعض أفراد الأسرة، إذ كان هذا الاختصاص يُعد آنذاك حكراً على الرجال. إلا أن فريال تمسكت بخيارها بإصرار كبير، وكانت تؤكد دائماً أن المرأة قادرة على أداء أي مهمة إذا ما أُتيحت لها الفرصة والإرادة، لتصبح بذلك نموذجاً مبكراً للمرأة العراقية الطامحة إلى كسر القيود الاجتماعية وإثبات قدراتها في مختلف الميادين.

وخلال سنوات الدراسة الجامعية، اتسعت دائرة اهتمامها بالشأن العـــام والعمل السياسي، فانتمت إلى الحزب الشيوعي العراقي، وانخرطت بفاعلية في النشاط الطلابي والتنظيمي، مدفوعة بإيمانها بقيم العدالة والحرية وحقوق الإنسان. وقد عُرفت بين زميلاتها وزملائها بالنشاط والحيوية والالتزام، حتى أصبحت من الشخصيات النسوية البارزة في الوسط الطلابي آنذاك.

بعد تخرجها من كلية الهندسة عملت مهندسة في مشروع شط البصرة التابع لمديرية الري، وأثبتت كفاءة عالية في مجال عملها، بالتوازي مع نشاطها الاجتماعي والسياسي. كما تولت مسؤوليات تنظيمية مهمة، وأسهمت في قيادة النشاط النسوي والعمل الجماهيري بروح من المثابرة والتفاني، فضلاً عن دورها الفاعل في اتحاد الطلبة.

تزوجت من المناضل الشهيد محمد القريشي، وشكلا معاً أسرة آمنت بالقيم الوطنية والإنسانية. ورُزقا بطفلين كانا يمثلان بالنسبة لهما أملاً بمستقبل أكثر إشراقاً. وكانت فريال تنظر إلى الحياة بعين متفائلة رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بها، حتى أنها قالت ذات يوم وهي تنتظر مولودها الأول: «سأسميه زاهر، لأن الحياة يجب أن تكون مزهرة.»

لكن سنوات القمع التي أعقبت حملة النظام البعثي على القوى الوطنية والديمقراطية وضعت الأسرة كلها في دائرة الاستهداف. فقد تعرض والدها، التاجر المعروف أحمد حسن الأسدي، للتهجير ومصادرة ممتلكاته، رغم انتمائه إلى عشيرة بني أسد العراقية المعروفة، واضطر إلى مغادرة العراق ليستقر في الجزائر حيث توفي هناك متأثراً بمرارة الغربة والمرض.

وفي ظل الملاحقة الأمنية المستمرة، تعرضت فريال لمراقبة دقيقة من أجهزة النظام. وتشير الروايات إلى أن إحدى المتعاونات مع الأجهزة الأمنية تمكنت من التسلل إلى محيطها الاجتماعي والوظيفي، واستغلت الثقة التي منحتها لها فريال لتوثيق أحاديثها ومواقفها المعارضة للنظام. ومن خلال هذه الخطة جرى استدراج أفراد من الأسرة إلى كمين أمني انتهى باعتقال شقيقها الشهيد مصدق، الذي اختفى أثره بعد ذلك.

وفي عام 1983 استُدعيت فريال وزوجها إلى مبنى المحافظة في البصرة، وهناك تم اعتقالهما بصورة مفاجئة. وكان معهما طفلهما الصغير زاهر الذي لم يتجاوز عامه الأولين. وبعد ساعات من الاحتجاز تُرك الطفل وحيداً في الشارع، فيما اقتيد والداه إلى مصير مجهول.

تعرضت فريال خلال فترة اعتقالها إلى صنوف قاسية من التعذيب الجسدي والنفسي، شأنها شأن آلاف العراقيين الذين اكتووا بنار الاستبداد. وبعد سقوط النظام عُثر على وثائق رسمية تؤكد تنفيذ حكم الإعدام بحقها وبحق زوجها الشهيد محمد عباس القريشي بتاريخ 8 أيلول 1983، بتوقيع صدام حسين، ضمن قائمة ضمت عدداً من أبناء البصرة الذين دفعوا حياتهم ثمناً لمواقفهم السياسية.

كما صودرت جميع ممتلكاتهما المنقولة وغير المنقولة بموجب المرسوم الجمهوري المرقم (1024) الصادر في 8 آب 1983، في محاولة لمعاقبة الأسرة بأكملها ومحو أثرها الاجتماعي والاقتصادي، وهي سياسة اتبعها النظام بحق كثير من العائلات العراقية المعارضة.

لقد كانت فريال أحمد حسن الأسدي أكثر من مجرد مهندسة ناجحة أو ناشطة سياسية؛ كانت رمزاً للمرأة العراقية التي آمنت بقدرتها على صناعة التغيير، وتمسكت بحقها في التعلم والعمل والمشاركة في الشأن العام. جسدت في حياتها معاني الإرادة والشجاعة والالتزام، وفي استشهادها قدمت مثالاً نادراً للتضحية من أجل المبادئ والقيم التي آمنت بها.

رحلت فريال الأسدي وهي في ريعان شبابها، لكن سيرتها بقيت حاضرة في ذاكرة العراقيين بوصفها واحدة من النساء اللواتي واجهن الظلم بثبات وإيمان. لقد أسكتت آلة القمع صوتها، لكنها لم تستطع أن تمحو رسالتها أو ذكرها. وستظل قصتها شاهداً على مرحلة مؤلمة من تاريخ العراق، ودليلاً على أن أصحاب المبادئ قد يغيبون جسداً، لكن مواقفهم تبقى حية في ضمير الأجيال، تروي حكاية امرأة آمنت بالحياة والحرية، فارتقت شهيدة وهي متمسكة بحلمها بوطنٍ أكثر عدلاً وكرامة .

مراجعات

« في سيكولوجيا اللهاث وراء المناصب والسمعة المزيفة في العراق »

د. عامر صالح

تشتد مظاهر الفساد في العراق سلوكيا لتشكل منظومة مغلقة من الآليات والسلوكيات التي تعيد إنتاج نفسها دوريا مع كل دورة انتخابية لتجديد منظومة الحكم الى جانب اعادة دورة الفساد الأداري والمالي بطريقة محكمة لا يمكن اختراقها او الحديث عنها علنيا إلا بتفاصيل شكلية لأمتصاص نقمة المجتمع.

اللهاث وراء المناصب والسمعة المزيفة والأمتيازات يشكل جزء من منظومة الحاشية للنظام وهي اخطر من رأس النظام لأنها تطبل له وتبرر أخطائه بل وتجعل من أخطائه صح مطلق مما يجعل رأس النظام يوغل في أخطائه وغير قابل للمحاسبة لأن " النخبة " المحيطة به تقول له انت الصح والباقي للجحيم.

ظاهرة اللهاث وراء المناصب والسمعة المزيفة في العراق تُعد واحدة من أبرز التحديات الاجتماعية والسياسية التي أفرزتها مرحلة ما بعد عام 2003. هذه الظاهرة لم تعد مجرد سلوكيات فردية، بل تحولت إلى "ثقافة مجتمعية" مشوهة تؤثر عميقاً في بناء الدولة ومؤسساتها.

وفي تفكيك واقعي لأبعاد هذه الظاهرة، أسبابها، وتداعياتها:

1.جذور السعي المحموم خلف المنصب

في البيئة الحالية، لا يُنظر إلى المنصب (سواء كان وزيراً، مديراً عاماً، أو حتى رئيساً لقسم) على أنه "مسؤولية أو تكليف خدمةً للصالح العام"، بل يُنظر إليه كـ:

مصدر مطلق للقوة والحصانة: المنصب يوفر للفرد نفوذاً يحميه ويحمي مصالحه وعشيرته أو حزبه في بيئة تغيب فيها سيادة القانون بشكل كامل في بعض الأحيان.

بوابة للثراء السريع: ارتباط المنصب بالامتيازات الماليـــــــــة الضخمة، والعقود، والمخصصات، جعل الوظيفة العامة وسيلة "للاستثمار والمغنم" وليس لتقديم الخدمة.

المحاصصة الحزبية والفئوية: عندما تُوزع المناصب بناءً على الولاء الحزبي أو الطائفي أو العشائري بدلاً من الكفاءة (التكنوقراط)، يصبح الوصول للمنصب دليلاً على "شطارة" الجهة الداعمة وليس استحقاقاً شخصياً.

2.صناعة "السمعة المزيفة" (الوجاهة والبرستيج)

تترافق شهوة السلطة في العراق مع هوس موازٍ بالوجاهة الاجتماعية، والتي غالباً ما يتم تصنيعها بطرق وهمية:

جيوش ومستشاري العلاقات العامة: رواج ظاهرة "المستشارين الإعلاميين" والصفحات المأجورة على منصات التواصل الاجتماعي (الذباب الإلكتروني) لتضخيم إنجازات وهمية للمسؤول، والترويج له كـ "منقذ" أو "قائد ضرورة."

الألقاب الفخرية والشهادات المشتراة: الإصرار على استخدام ألقاب مثل (دكتور، مستشار، شيخ، خبير إستراتيجي) حتى لو كانت الشهادة ممنوحة من جامعات وهمية أو غير معترف بها، وذلك لإضفاء شرعية علمية أو معرفية على المنصب.

المظاهر الخداعة وسلاسل الحمايات: الاستعراض بالمواكب الضخمة، والسيارات المظللة، وأفواج الحمايات الشخصية. هذه المظاهر ليست للأمن فقط، بل هي أداة سيكولوجية لإشعار الآخرين بالفوقية والطبقية.

3.التداعيات على المجتمع والدولة

تدمير الكفاءات (إقصاء النخب): عندما تصبح المحسوبية واللهاث هما معيار الصعود، تُصاب الكفاءات الحقيقية والعلماء وأصحاب الضمير بالإحباط، مما يدفعهم للاعتزال أو الهجرة خارج البلاد.

ترهل وبيروقراطية المؤسسات: امتلاء دوائر الدولة بمسؤولين غير مؤهلين يقود إلى قرارات عشوائية، وفشل في إدارة الأزمات، وضياع الموارد الاقتصادية في مشاريع وهمية أو غير مجدية.

فقدان القدوة الاجتماعية: يتأثر الجيل الجديد بهذه النماذج؛ فحين يـــــرى الشباب أن "الفاسد أو المتسلق" هو من يتصدر المشهد ويحظى بالاحترام والمال، تضعف قيمة التعليم والعمل الجاد في عيونهم، ويصبح الهدف هو تقليد هذا النموذج للوصول السريع .

أن "الوجاهة المزيفة والادعاء الكاذب" تلخص ظاهرة اجتماعية ونفسية قديمة متجددة، تزايدت بوضوح في عصرنا الحالي وفي المجتمعات المأزومة (عصر منصات التواصل الاجتماعي). وهي تشير إلى محاولة الفرد أو الكيان صناعة "قشرة خارجية" من الأهمية، المكانة، العلم، أو الثراء، دون وجود أساس حقيقي أو عمق يدعم هذا المظهر.

وعند تفكيك هذا المفهوم بشكل مبسط وعميق:

1.تفكيك المفهوم

الوجاهة المزيفة: هي المظهر الخارجي الخادع. السعي وراء الوجاهة الاجتماعية (البرستيج) بطرق مصطنعة، مثل شراء الألقاب، المبالغة في المظاهر المادية، أو التواجد في محافل لمجرد التقاط الصور والادعاء بالحظوة والنفوذ.

الادعاء الكاذب: هو المضمون غير الحقيقي. أن ينسب الشخص لنفسه إنجازات لم يحققها، شهادات لم ينلها، أو معرفة وثقافة لا يمتلكها (مثل أدعياء الثقافة أو خبراء "التنمية البشرية" المزيفين).

2.لماذا يلجأ البعض لهذا السلوك؟ (الدوافع النفسية)

"الإناء الفارغ يحدث ضجيجا أعلى" ـ مثل شهير يعبر عن هذه الحالة.

عقدة النقص وشعور بالدونية: محاولة تعويض الفراغ الداخلي أو غياب الإنجاز الحقيقي بـ "بهرجة" خارجية.

هوس القبول الاجتماعي: الرغبة الجارفة في نيل إعجاب الآخرين بشتى الطرق، لأن المجتمع الحديث أصبح أحياناً يقيم المرء بناءً على "ما يملك" أو "كيف يبدو" وليس على "من يكون."

المكاسب السريعة: سواء كانت مكاسب مادية (النصب والاحتيال باسم الخبرة) أو مكاسب معنوية (الشهرة والتقدير المجتمعي).

3.تجليات الظاهرة في العصر الرقمي

ساهمت التكنولوجيا في تضخيم هذه الظاهرة بشكل غير مسبوق:

تتمة ص التالية

آراء حرة

في سيكولوجيا اللهاث وراء المناصب

فلاتر الواقع: منصات مثل إنستغرام وتيك توك وتويتر (X) سمحت لأي شخص بخلط الأوراق، حيث يمكن لـ "مؤثر" لا يملك أي مؤهل أن يفتي في الطب، الاقتصاد، أو علم النفس.

الألقاب الوهمية: انتشار مصطلحات مثل "مستشار"، "خبير استراتيجي"، "دكتور فخري"، والتي تُمنح أحياناً من جهات وهمية مقابل مبالغ مالية.

4.خطورة الوجاهة المزيفة على المجتمع

تزييف وعي الناس بغلاف من العلم وأشباه العلم وتصدير النماذج الفارغة للشباب مما يقلل من قيمة العلم والتعليم ويجعل من الشباب ضحايا للخرافة والدجل وبناء علاقات قائمة على الخداع والتحايل والمصلحة الذاتية.

اللهاث وراء المناصب والسمعة المزيفة (أو ما يُعرف بالشغف الزائف بالوجاهة الاجتماعية) ظاهرة إنسانية قديمة، لكنها تضاعفت بشكل غير مسبوق في عصرنا الحالي بسبب طغيان المظاهر وسائل التواصل الاجتماعي.

هذا السلوك غالباً ما ينبع من رغبة عميقة في التعويض عن نقص داخلي، حيث يعتقد الشخص أن قيمته تُستمد من "القبه" أو "نظرة الناس إليه" وليس من جوهره وإنجازه الحقيقي.

وعند التفكيك المبسطاً لهذه الظاهرة من حيث الأسباب، والتبعات، وكيفية النجاة منها:

دوافع الركض خلف الوجاهة المزيفة:

هشاشة التقدير الذاتي: عندما يفتقر الإنسان إلى السلام الداخلي والثقة بنفسه، يبحث عن "مرايا خارجية" (كالمناصب والمديح) لتقول له إنه موجود وناجح.

ثقافة "المظاهر" المجتمعية: تحول مقياس الاحترام في كثير من المجتمعات من "ماذا تقدم؟" و"ما هي أخلاقك؟" إلى "من أنت؟" و"ما هو مسمّاك الوظيفي؟".

الوهم الرقمي: منصات التواصل الأجتماعي خلقت هوساً بـ "البروفايل المثالي"، مما جعل البعض مستعداً لشراء شهادات وهمية أو تزوير نجاحات للحصول على لقب.

مواجهة مشكلة الفساد و"اللهاث وراء المناصب" (التكالب على السلطة والمحاصصة) في العراق ليست مجرد رغبة في الإصلاح، بل هي خطوة مصيرية لبناء دولة حقيقية. هذه الظاهرة تجذرت بسبب نظام المحاصصة الطائفية والحزبية الذي تأسس بعد عام 2003، حيث تحولت المناصب إلى "مغانم" لتمويل الأحزاب بدلاً من خدمة المواطن.

العلاج لا يمكن أن يكون مجرد شعارات، بل يحتاج إلى خطة استراتيجية تجمع بين تعديل القوانين، تفعيل التكنولوجيا، وتغيير الثقافة السياسية.

وبالأمكان الأشارة الى بعض المقترحات لعلاج هذه الأزمة:

1.تفكيك بيئة الفساد (إجراءات تشريعية وهيكلية)

تشريع قانون "من أين لك هذا؟" وبأثر رجعي: تفعيل حقيقي ومستقل لكشف الذمة المالية لكل من تولى منصباً عاماً منذ 2003 وحتى اليوم، ومصادرة الأموال التي لا يُعرف مصدرها بشكل قانوني.

إنهاء نظام المحاصصة (التوافقية السياسية): الانتقال التدريجي نحو مفهوم "حكومة الأغلبية السياسية" أو "حكومة الكفاءات والـتيكنوكرات"، بحيث تُدار الوزارات والمؤسسات بناءً على المؤهلات وليس الولاء الحزبي.

تجريم "بيع وشراء المناصب": وضع عقوبات جنائية مغلظة تصل إلى السجن المؤبد للمتورطين في صفقات شراء المناصب أو الابتزاز السياسي للحصول عليها.

2.سحب المزايا "المُغرية" للمناصب (تخفيف اللهاث)

السبب الرئيسي للتهافت على المناصب هو الامتيازات الأسطورية التي يحصل عليها المسؤول. الحل يكمن في:

تقليص الفوارق الطبقية في الرواتب: تخفيض رواتب ومخصصات الرئاسات الثلاث، والوزراء، والنواب، والدرجات الخاصة إلى مستويات منطقية تقترب من رواتب الموظفين الاعتياديين.

إلغاء الامتيازات مدى الحياة: إلغاء الرواتب التقاعدية الضخمة لمن خدم في منصب سياسي لفترة قصيرة، وإلغاء مخصصات الحمايات الشخصية المبالغ فيها والسيارات الفارهة بعد مغادرة المنصب.

عندما يتحول المنصب من "مغنم مالي وجاه" إلى "مسؤولية وخدمة شاقة"، فلن يركض وراءه إلا من يمتلك الكفاءة والرغبة الحقيقية في الإصلاح.

استثمار الأراضي الزراعية للسكن.. وحقوق المواطنين

خلال الأشهر الماضية شهدت بغداد وعدد من المحافظات العراقية تصاعداً ملحوظاً في الجدل حول ملفات الأراضي والاستثمار والإسكان، وتناقلت وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي مشاهد متعددة لشكاوى المواطنين واحتجاجاتهم واعتراضاتهم على بعض الإجراءات التي مست مساكنهم أو أراضيهم أو حقوقهم العقارية.

وبغض النظر عن اختلاف الوقائع من منطقة إلى أخرى، فإن القاسم المشترك بينها جميعاً كان شعور شريحة واسعة من المواطنين بالقلق على مستقبل ممتلكاتهم وحقوقهم واستقرارهم الاجتماعي.

وفي خضم هذا المشهد، برزت وثيقة رسمية مهمة صادرة عن الهيئة الوطنية للاستثمار بالعدد (7254) بتاريخ 2026/6/14، والمتضمنة توجيهاً إلى هيئات الاستثمار في المحافظات كافة بالتريث في منح إجازات الاستثمار الخاصة بالمجمعات السكنية والمطور العقاري التي ما زالت قيد الإجراءات، لحين استكمال المعلومات المطلوبة ورفعها إلى الجهات العليا المختصة.

إن أهمية هذا الكتاب لا تكمن في كونه قراراً إدارياً فحسب، بل في الرسالة التي يحملها؛ فحين تتجه الدولة إلى التريث والمراجعة، فإن ذلك يعني أن هناك ملفات تستوجب التدقيق، وأن هناك حاجة إلى إعادة تقييم بعض الإجراءات قبل المضي بها.

ومن الخطأ اعتبار هذا التريث انتصاراً نهائياً أو حلاً كاملاً للمشكلات القائمة، كما أن من الخطأ اعتباره إجراءً شكلياً لا قيمة له.

الحقيقة أن التريث يمثل فرصة مهمة لجميع الأطراف؛ فرصة للدولة لمراجعة الملفات المثيرة للجدل، وفرصة للمواطنين لتقديم وثائقهم ومطالبهم وملاحظاتهم ضمن الأطر القانونية والمؤسساتية.

إن قوة أي قضية لا تُقاس بحجم الغضب الذي تثيره، بل بقدرتها على التحول إلى ملف قانوني ومجتمعي متكامل يصعب تجاهله أو القفز فوقه.

وبين وثيقة الإنذارات ووثيقة التريث، لا تزال الكلمة الفصل للوثيقة والوعي والقانون. فمرحلة التريث الحالية ليست نهاية القضية، بل بداية اختبار حقيقي لقدرة الدولة على حفظ الحقوق..

آراء حرة

2

» ضعف مساهمة القطاع الصناعي في تطوير الاقتصاد الوطني العراقي: الأسباب والتحديات وآفاق المعالجة«

أ.د. سناء عبد القادر مصطفى *

أما المنشئات الصناعية التابعة لوزارة الصناعة والمعادن العراقية؛ فلم تختلف معاناتها عن نظيراتها في القطاع الخاص، حسب رأي وكيل الوزارة لشؤون الشركات عادل كريم: " إن الوزارة تحمل اليوم تركة ثقيلة سببها عدم اهتمام الحكومات والبرلمانات المتعاقبة بالصناعة العراقية بشكل طموح وفعال، ما نتج عنه 52 شركة خاسرة، من مجموع 76 شركة تابعة للوزارة . وأضاف أن وزارته لم يبق لديها خيار سوى التوجه نحو الخصخصة والاستثمار، "لكن ذلك ينتظر الموافقات الأصولية لمجلس الوزراء الذي لم يبت بالأمر حتى الآن"، مستغرباً تأخرها "خاصة وأن البرنامج الحكومي الحالي أكد على تنمية القطاعين الصناعيين الحكومي والخاص- ".

من جانبها؛ قالت عضو لجنة الاقتصاد والاستثمار في مجلس النواب نورة البجاري لـ"عربي 21"، إن "العراق شهد بعد سنة 2003 حالة من الانفتاح "بلا قيود"، ما أدى إلى إغراق السوق المحلية ببضائع من شتى أنحاء العالم، فضلاً عن تراجع الإنتاج المحلي العام والخاص، جراء حالة الانفلات الأمني وشح الطاقة والوقود."

وانتقدت البجاري جهات حكومية متخصصة "لتجاهلها حماية الصناعة العراقية من المنافسة غير المتكافئة مع المستورد، بما فيها دائرة التقييس والسيطرة النوعية، ووزارتا البيئة والصحة."

وأضافت أن العمليات العسكرية التي تجرى في عدد من المحافظات العراقية "أدت إلى غلق عدد من الحدود، ما نتج عنه كساد وضعف في استيراد عدد من البضائع من قبل المستورد والتاجر العراقي، الذي تكبد خسائر كبيرة هو الآخر"، داعية الحكومة إلى استغلال هذا الظرف من خلال تقوية المنتج الوطني.

ولتنشيط المصانع العراقية والنهوض بالصناعة الوطنية؛ اقترحت البجاري على الحكومة أن "يتم إطلاق القروض، أو المشاركة مع المستثمرين؛ لسد حاجة السوق بمنتجات محلية تضاهي المستورد"، مطالبة البرلمان بتشريع قوانين داعمة للصناعة، ومنظمة لواقع السوق المحلية.

وهنا لابد من إلقاء الضوء على قضية استيراد السلع من خارج العراق

3. تأثير إستيراد السلع على الصناعة العراقية والحماية الكمركية لها .

لعب استيراد السلع والبضائع بجميع أنواعها الى العراق مع ضعف وحتى انعدام الحماية الكمركية للصناعة الوطنية دورا سلبيا في تطور الإقتصاد الوطني العراقي واصبح العراق في العام 2003 بعد الإحتلال سوقا لتصريف كافة السلع ذات الجودة الرديئة والمنتهية صلاحيتها ابتداءا من السيارات التي يعاد تصليحها بشكل سريع (ريكونديشين) وكذلك السيارات الفاشلة في الفحص التقني في أوربا الذي يجرى في العادة كل سنتين ويسمى بفحص دول الإتحاد الأوربي والفحص الأمريكي الخاص بتلوث البيئة.

وتستحوذ الصادرات الإيرانية الى العراق على جزء كبير من استيرادات العراق من الخارج إذ تقسم إلى ثلاثة أنواع: 1- غاز طبيعي وكهرباء، 2- سيارات ومواد غذائية ومستلزمات منزلية وأعمال يدوية، 3- خدمات فنية وهندسية في قطاعات الطاقة والإسكان والصحة والنقل. وبهذا بلغت حصة إيران من سوق السلع العراقي 17.5% بعد أن كانت 13% قبل استيلاء تنظيم الدولة الإسلامية على محافظات نينوى وصلاح الدين والأنبار وجزء من ديالى وكركوك بحسب تصريح الأمين العام للغرفة التجارية الإيرانية العراقية سنجابي شيرازي. وتهدف ايران -بحسب تصريح شيرازي- لرفع النسبة الى 25% من سوق السلع العراقي في السنوات القادمة (7).

في حين أعلنت منظمة تنمية التجارة الإيرانية في 2025/8/30 تجاوز الإيرادات الإيرانية عن الصادرات غير النفطية 16.5 مليارد دولار خلال الربع الثاني من العام 2025 ، مشيرا الـــى أن العراق يعتبر ثاني المستوردين للسلع الإيرانية خلال هذه الفترة (7 أ) .

ويشغل العراق المرتبة الأولى في استيراد السلع غير النفطية من إيران، إذ يستورد 72% من مجموع السلع الإيرانية المحلية. وبهذا فهو يتأرجح من عام لآخر بين مرتبة الشريك التجاري الأول والثاني .

ويبدو أن النشاط التجاري والاستثماري لإيران في العراق لا يستهدف فقط تعظيم أرباحها ولكن أيضاً إزاحة منافسيها الإقليميين اقتصادياً وخاصة تركيا التي تعتبر من أكبر شركاء العراق الاقتصاديين، فمنذ العام 2011 أصبح العراق ثاني أكبر مستورد للسلع التركية، ومنذ العام 2012 أصبح رابع أكبر مستخدم للخدمات الفنية والهندسية التركية(8).

2026/4/
موقع المعلومة/ بغداد..

شهد التبادل التجاري بين تركيا والعراق في مطلع 2026 تغيّرات بارزة، حيث تراجعت الصادرات التركية بنسبة 17%
لتصل إلى 1.4 مليار دولار مقارنة مع 1.74 مليار دولار في 2025 .

وذكر الخبير الاقتصادي منار العبيدي في تدوينة له عبر حسابه في "فيسبوك"، أطلعت عليها وكالة/المعلومة/، أن "شهر
فبراير انخفاضاً من 900 مليون إلى 661 مليون دولار."

واضاف أن "بعض القطاعات التركية شهدت نمواً مثل الفواكه والمكسرات والملابس والمعادن الثمينة، تكبدت قطاعات الحديد والصلب والآلات الكهربائية والبلاستيك خسائر كبيرة."

واشار إلى أنه "على الجانب العراقي، ارتفعت الصادرات نحو تركيا بنسبة 41% لتصل إلى 95 مليون دولار، مدفوعة بقطاعي الوقود والخامات المعدنية، إلا أن العجز التجاري ما زال لصالح تركيا بأكثر من 1.3 مليار دولار.

وإذا كان الظرف الجيوسياسي في المنطقة يخدم المصالح الاقتصادية لإيران فإن توسع رقعة نفوذ تنظيم الدولة الإسلامية في شمال ووسط العراق منذ منتصف العام 2014 أدى إلى قطع الخطوط التجارية الرابطة بين موانئ

تتمة ص التالية

تركيا البرية ووسط وجنوب العراق مؤثراً على الوزن الاقتصادي النوعي لتركيا. ونتيجة لذلك أصبحت إيران أحد الطرق المتاحة لنقل السلع والبضائع التركية إلى العراق وهذا ما أدى الى ارتفاع كلفة استيراد السلع التركية بنسبة 15%. وفي نفس الوقت انخفضت قيمة الصادرات التركية الى العراق بقيمة ملياري دولار أمريكي (12) .

أن حجم التبادل التجاري بين البلدين يبلغ 13 مليار دولار سنويا، من ضمنه 6 مليارات و 200 مليون دولار صادرات سلع غير نفطية ايرانية الى العراق. هذا ما صرح به الملحق التجاري للجمهورية الاسلامية الايرانية في العراق محمد رضا زادة لموقع العالم .

ويقدر حجم التبادل التجاري بين العراق وتركيا حوالي 12 مليار دولار أمريكي. وتضم السيارات والمواد الإنشائية والطاقة والمشروبات والدواجن والمعاملات المالية للشركات القابضة والأغذية والمنتجات الألكترونية .

وقد أدَّت سيطرة الدولة الإسلامية (داعش) السريعة والواسعة على مساحة كبيرة من الأراضي في العراق في العام 2014، إضافة إلى ارتفاع منسوب التهديد الأمني، إلى خسائر مباشرة في الاستثمارات التركية في العراق؛ حيث عملت حوالي 1500 شركة تركية في إقليم شمال العراق وحده، وتُشَكِّل ما نسبته حوالي 65% من حجم الأعمال العادية للشركات الأجنبية في الإقليم. وبسبب الأوضاع السائدة وحالة عدد الاستقرار، فقد تمَّ إيقاف أو تأجيل العديد من مشاريع البنى التحتيَّة؛ التي كان قد تمَّ البدء فيها، أو التي يتمُّ الشروع فيها الآن، ولاشكَّ أن ذلك قد ترتبت عليه خسائر ماليَّة لم يتم احتساب إجماليُّها حتى الآن، كما تأثَّر العديد من الشركات التركيَّة العاملة في العراق، أو التي تُصَدِّر إلى السوق العراقي بتدهور الأوضاع الأمنيَّة هناك؛ خاصة الشركات التي تعمل في قطاعات الطاقة والأغذية والمشروبات والإلكترونيات .

وعلى الرغم من ان الإستيراد يقوم بتوفير السلع باسعار متدنيه ولصالح المستهلك الا انها من جهة اخرى تعمل على تحطيم وازاحه الصناعات المحليه والتي تكافح من اجل البقاء ومنافسة السلع المستورده والحفاظ على العاملين لديها في وقت اصبحت قضية توفير فرص العمل وتخفيف نسبة البطاله التي تقدر بحوالي 40% (22.6%) من السكان القادرين على العمل والتي تعتبر من التحديات الكبيره التي تواجه البلد حيث اصبحت مشكلة البطالة مشكله سياسية واجتماعيه فضلا عن كونها مشكله اقتصاديه.

ولا بد من الإشارة الى أن توفير الحماية الكمركية للصناعة الوطنية في الوقت الحاضر هي قضية وطنية ملحة على الرغم من انها تنصب على كاهل المستهلك المحلي ولكن كلفة الحماية التي يتحملها المستهلك تبررها المنافع الاقتصادية التي تعود على البلد وعلى المستهلك في المستقبل بعد أن تتعزز وتتطور الصناعة الوطنية التي تعتبر مفخرة للبلد ولأن فوائدها سوف تعود على الجميع.

وكثيرا ما ينتقد الصناعيون والتجار العراقيون عدم دعم الدولة لقطاع الصناعة والتجارة وفتح أبواب الاستيراد على مصراعيها مما الحق الضرر بالمنتج الوطني وافقده القدرة على المنافسة، واعتبروا ان شحة الكهرباء والمحروقات وعدم مواكبة الملاكات الوطنية للتطورات العالمية والافتقار للقوانين المناسبة أهم عوامل تراجع العراق صناعياً واقتصادياً. هذا ما صرح به رئيس رابطة تنمية وتطوير الصناعة والتجارة في العراق ، محمد القزاز، في حديث إلى المدى برس/ كربلاء – 2013/3/19 (13).

وأضاف القزاز أن هناك "مجموعة أسباب أسهمت في تدني الصناعة العراقية خلال السنوات الأخيرة تتصدرها أزمة الكهرباء"، مشيراً إلى ان "اضطرار أصحاب المصانع تأمين الطاقة الكهربائية بأنفسهم مما يؤدي الى رفع سعر المنتج العراقي لعشرة أضعاف السعر الأصلي وافقده القدرة على منافسة نظيره المستورد."

وأردف القزاز "لا يوجد دعم للصناعي العراقي من قبل الدولة وكثيراً ما تسهم التنمية الصناعية في تعثر الصناعيين وعدم تطورهم من خلال استيفائها لأجور كبيرة منهم مقابل منحهم إجازة تسجيل المصنع"، مبيناً أن"العراق كان على أبواب الدخول ضمن لائحة الدول الصناعية العالمية في عقد السبعينات وما تلاها، لكنه تراجع في السنوات الأخيرة وتعطلت العشرات من مصانعه التي كانت منتجة لأنواع كثيرة من البضائع الاستهلاكية والأجهزة الكهربائية وغيرها."

واضافة الى ما تقدم فان الصراع السياسي الحاد بين الاحزاب والكتل السياسية العراقية وتعدد اللجان الاقتصادية التابعة للأحزاب السياسية التي تقوم بأخذ المقاولات من الوزارات التابعة لها لتربح منها ومن ثم تقوم بتمويل مالية الحزب التابعة لها. إن ظاهرة تشكيل اللجان الاقتصادية هذه أصبحت موضة في اقتصادنا الوطني وتهدف الى السيطرة على اكبر قدر ممكن من النفوذ والسلطة والمناصب والتي يأخذ جل اهتمام ونشاط هذه الكتل والاحزاب السياسية ويشغلهم عن المهام الموجودة في برامج عملهم المتعلقة باحياء وتطوير الصناعة وما تتطلبه من قوانين وأنظمة علمية متطورة تتعلق بتطوير الصناعه الثقيلة والخفيفة وتهيئة الكادر العلمي الجيد صاحب الخبره العملية في إدارة المشاريع الصناعية بالإضافة الى توفير الاموال اللازمة لذلك بدلا من صرفها على تمويل الدعاية لأحزابهم .

ومن ثم وقعت الطامة الكبرى على رأس الاقتصاد الوطني العراقي بعد الانخفاض الكبير في سعر البرميل الواحد من النفط الخام في النصف الثاني من العام 2014 وبعد الإنهيارا في أسعار النفط بحوالي 54% من قيمتها منذ 20 حزيران العام 2014 حتى أواسط كانون الثاني العام 2015. إذ هبط سعر خام برنت الأوروبي القياسي من 115 دولارا. أمريكيا إلى 62 دولارا أمريكا للبرميل الواحد. ناهيك عن استفحال الفساد الاداري والمالي في الوزارات العراقية كافة وفقدان موازنة العام 2014 للصناعات كافة والتي لم يتجرأ أحد من أصحاب المسئولية في الحكومة العراقية (الرشيدة) عن الحديث عنها لحد الان. إذ بلغ الأمر من الخطورة بمكان طرح السؤال التالي: هل تم تخصيص رواتب وأجور للموظفين والعمال في جميع فروع القطاع الصناعي العراقي في موازنة العام 2014؟ وهل نفذت مطاليب العمال والموظفين بدفع أجورهم ورواتبهم المتأخرة لعدة أشهر؟

يتبع في العدد القادم

آراء

« العراق بين دولة القانون وإمبراطورية الفساد »

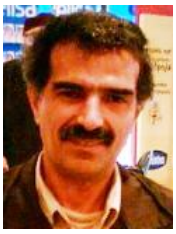

هاشم معتوق

العراق بين دولة القانون وإمبراطورية الفساد.. كيف يُنهب وطن يمتلك كل أسباب الثراء

ليس الفساد في العراق مجرد مخالفة إدارية عابرة، ولا هو مجموعة من الرشاوى الصغيرة التي يتداولها الموظفون في المكاتب الحكومية، بل أصبح في نظر كثير من الباحثين والمراقبين منظومة متكاملة تتشابك فيها المصالح السياسية والاقتصادية والإدارية، حتى غدا الفساد نفسه مؤسسة موازية للدولة، تمتلك أدواتها وشبكاتها وحماتها وآلياتها الخاصة في إعادة إنتاج النفوذ والثروة.

إن المأساة العراقية لا تكمن في ندرة الموارد أو ضعف الإمكانات، فالعراق من أغنى دول المنطقة بالثروات الطبيعية والموقع الجغرافي والطاقات البشرية والإرث الحضاري. لكن المفارقة المؤلمة أن بلداً يمتلك هذا الحجم الهائل من الثروة ما زال يعاني من أزمات الخدمات الأساسية والبطالة وتدهور البنية التحتية وغياب التنمية المستدامة. وهنا يبرز السؤال الكبير: أين ذهبت مئات المليارات من الدولارات التي دخلت خزائن الدولة خلال العقود الماضية؟

الجواب ليس بسيطاً، لأن الفساد في العراق لم يعد فعلاً فردياً، بل تحول إلى ظاهرة بنيوية تتغلغل في مفاصل الإدارة والاقتصاد والسياسة. فحين تصبح المناصب العامة غنائم سياسية، وتتحول المؤسسات إلى مناطق نفوذ، وتغيب المحاسبة الحقيقية، فإن المال العام يصبح فريسة سهلة لشبكات المصالح المنظمة.

لقد أثبتت التجارب العالمية أن الفساد لا ينمو في البيئات التي يسود فيها القانون، بل ينمو حيث تضعف الدولة وتتراجع الرقابة وتختلط السلطات بالمصالح. وفي الحالة العراقية، يرى العديد من الباحثين أن نظام المحاصصة السياسية الذي نشأ بعد عام 2003 ساهم في تكريس هذا الواقع عبر توزيع المواقع الإدارية والوظائف العليا وفق اعتبارات الولاء والانتماء أكثر من اعتبارات الكفاءة والخبرة. ومع مرور الزمن، أصبحت بعض المؤسسات رهينة لتوازنات سياسية معقدة تجعل محاسبة الفاسدين عملية شاقة ومكلفة.

غير أن تحميل المحاصصة وحدها كامل المسؤولية قد لا يكون كافياً لفهم المشهد. فالتخلف الإداري المزمن يمثل وجهاً آخر للأزمة. فالإجراءات الورقية المعقدة، وتعدد الحلقات البيروقراطية، وضعف أنظمة الرقابة الإلكترونية، كلها عوامل توفر بيئة مثالية للرشوة والابتزاز والتلاعب. إن الموظف الذي يمتلك سلطة تعطيل معاملة أو تمريرها يملك في الوقت ذاته فرصة لتحويل تلك السلطة إلى منفعة شخصية ما لم توجد أنظمة صارمة للرقابة والمساءلة.

ومن أخطر أبواب الفساد في العراق ملف الأراضي والعقارات العامة. فالأرض ليست مجرد مساحة جغرافية، بل هي أصل اقتصادي واستراتيجي يمثل جزءاً من ثروة الأجيال القادمة. وعندما تمنح أراضي الدولة تحت عناوين الاستثمار أو التنمية من دون منافسة شفافة أو تقييم عادل للقيمة الحقيقية، فإن الخطر لا يقتصر على خسارة مالية مؤقتة، بل يمتد إلى نقل الثروة الوطنية من الملكية العامة إلى دوائر ضيقة من المنتفعين. وفي كثير من الحالات تتحول عمليات التخصيص إلى شبكات معقدة من الوساطات والضغوط السياسية والعلاقات الشخصية، فتضيع الحدود بين الاستثمار المشروع والاستحواذ المقنع على المال العام.

أما الوجه الأكثر خطورة للفساد فهو تهريب الأموال إلى الخارج. فالأموال التي تخرج بطرق غير مشروعة لا تمثل مجرد أرقام تغادر المصارف، بل هي مشاريع ومدارس ومستشفيات ومصانع وفرص عمل تضيع من مستقبل البلاد. وعندما تتسرب الثروة الوطنية إلى حسابات خارجية أو عقارات أجنبية أو شركات وهمية، فإن الاقتصاد الوطني يفقد جزءاً من قدرته على النمو والتنمية والاستقرار.

وتشير الخبرات الدولية إلى أن شبكات الفساد الكبرى لا تعمل بمعزل عن البيئة المحيطة بها. فهناك دائماً مستفيدون في الداخل، وقد توجد أطراف خارجية تستغل الثغرات القانونية أو ضعف الرقابة أو حاجة بعض المسؤولين لتحقيق مكاسب خاصة. لكن الحقيقة الجوهرية تبقى أن أي عملية نهب منظمة لا يمكن أن تنجح من الخارج ما لم تجد لها أبواباً مفتوحة من الداخل.

لقد نجحت دول كانت غارقة في الفساد أكثر مما هو عليه الحال في كثير من الدول النامية اليوم. سنغافورة وهونغ كونغ وإستونيا وغيرها أثبتت أن القضاء على الفساد ليس حلماً مستحيلاً، بل

مشروع دولة يحتاج إلى إرادة سياسية حقيقية ومؤسسات مستقلة وقوانين صارمة وشفافية كاملة.

الحل في العراق لا يبدأ بالشعارات، بل يبدأ بإعادة بناء مفهوم الدولة نفسها. فالدولة التي تريد الانتصار على الفساد يجب أن تجعل القانون أعلى من النفوذ، والكفاءة أعلى من الولاء، والمصلحة العامة أعلى من المصالح الحزبية والشخصية.

ويقتضي ذلك إطلاق مشروع وطني شامل للتحول الرقمي الكامل، بحيث تصبح العقود والأراضي والمناقصات والإنفاق الحكومي والتعيينات والإجراءات الإدارية خاضعة لأنظمة إلكترونية قابلة للتدقيق والتتبع. فكل معاملة تُنزع من الورق وتدخل إلى النظام الرقمي تُغلق معها نافذة جديدة من نوافذ الرشوة والتلاعب.

كما يتطلب الأمر قضاءً مستقلاً لا يخضع لأي ضغط سياسي أو اقتصادي، وهيئات رقابية تمتلك صلاحيات حقيقية للوصول إلى الملفات الكبرى دون خطوط حمراء أو حصانات غير مبررة. فالعدالة التي تتوقف عند صغار الموظفين ليست عدالة، بل إعادة إنتاج للفساد بأشكال جديدة.

إن المعركة ضد الفساد ليست معركة مالية فقط، بل هي معركة وجودية تتعلق بمستقبل الدولة العراقية نفسها. فالدول لا تسقط دائماً بالحروب والغزوات، بل قد تنهار من الداخل عندما تتحول مؤسساتها إلى أدوات لتوزيع الغنائم بدلاً من خدمة المواطنين. والتاريخ يعلمنا أن الحضارات العظيمة لا تفقد قوتها بسبب الفقر، وإنما بسبب تآكل منظومة النزاهة والعدالة فيها.

العراق اليوم يقف عند مفترق طرق تاريخي. فإما أن ينتصر مشروع الدولة والقانون والمؤسسات، وإما أن تستمر دوامة الهدر والفساد واستنزاف الثروة الوطنية. وبين هذين الطريقين تتحدد ملامح مستقبل وطن يمتلك من الإمكانات ما يؤهله ليكون في مقدمة الأمم، لو أن ثرواته أديرت بعقل الدولة لا بمنطق الغنيمة، وبأخلاق المسؤولية لا بشهوة الاستحواذ، وبسيادة القانون لا بسطوة النفوذ.

***

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

تدمير جوهر الطفولة...

المحتلة - أي بمعدل 27 عملية يومياً- وهي زيادة بنسبة 37% مقارنة بالفترة نفسها من عام 2024.

"تدمير جوهر الطفولة"

تعكس تجارب الأطفال في مخيم الدهيشة للاجئين نمطاً أوسع لما يعيشه الأطفال في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما أورده تقرير أصدرته "لجنة التحقيق الدولية المستقلة التابعة للأمم المتحدة والمعنية بالأراضي الفلسطينية المحتلة" يوم الثلاثاء 23 حزيران.

ويتناول التقرير ممارسات إسرائيل تجاه الأطفال الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية المحتلة منذ أكتوبر 2023.

وقد خلص التقرير - الذي حمل عنوان "تدمير جوهر الطفولة" - إلى أن القوات الإسرائيلية قتلت ما لا يقل عن 20,179 طفلاً فلسطينياً وأصابت أكثر من 44,000 آخرين في الأراضي المحتلة، غالبيتهم في غزة؛ حيث أشار التقرير إلى أن الاستهداف المتعمد للأطفال يشكل جزءاً من الإبادة الجماعية في الأراضي الفلسطينية.

كما يوثق التقرير نمطاً من عمليات القتل والاعتقالات الجماعية والتعذيب والعنف الجنسي والهجمات على المدارس والمستشفيات.

وفي الضفة الغربية، يرصد التقرير ارتفاعاً حاداً في عنف المستوطنين ضد الأطفال وفي حالات القتل على يد القوات الإسرائيلية، بما في ذلك مقتل طفلة تبلغ من العمر عامين بالرصاص في يناير 2025. ويشير التقرير إلى احتجاز الأطفال في مراكز اعتقال إسرائيلية دون توكيل محامٍ ودون إبلاغ ذويهم، وهو فصل قسري قد يرقى إلى مستوى "الاختفاء القسري". كما تتعرض المدارس للاستهداف أيضاً؛ إذ تخضع 85 مدرسة في أنحاء الضفة الغربية لأوامر هدم أو قرارات بوقف العمل، بينما أُغلقت مدارس أخرى.

ما وراء أعداد الضحايا:ترى اللجنة الأممية أن إسرائيل خلقت ظروفاً يعيش فيها الفلسطينيون حالة دائمة من "الرعب المنتشر والمحيط بهم، والذي لا يتطلب قصفاً مستمراً ليظل مؤثراً".

فيما تؤكد الاخصائية النفسية "لميس فراج": أنه لا يمكن الفصل بين الصحة الجسدية والنفسية للطفل.. "نحن نتحدث عن صدمات متكررة، وعن أحداث مستمرة لا تنتهي"،

" حرب إسرائيل على غزة ".. إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعتيم الإعلامي

في الضفة الغربية: الحياة تتوقف والطفولة تتهشم

يوثق تقرير جديد للأمم المتحدة حالات القتل والاعتقال والأضرار النفسية طويلة الأمد التي تلحق بالأطفال الفلسطينيين. وفي الضفة الغربية، تتجسد هذه النتائج في واقع ملموس، حيث تتهشم الطفولة تحت وطأة المداهمات العسكرية الإسرائيلية والحياة تتوقف وسط صمت دولي وعربي منقطع النظير.

تتكرر المداهمات لدرجة أن الأطفال غالباً ما يعجزون عن تذكر تواريخ حوادث بعينها؛ لكن ما يظل عالقاً في ذاكرتهم هو مشاعر الخوف التي انتابتهم، والعدوانية التي أظهرها الجنود الإسرائيليون. فيما يتعرض الناس دون تمييز للضرب، وعادة ما يسقط جرحى أو قتلى.

يقول مصطفى: لا أستطيع تذكر أول مواجهة لي مع الجنود، "لكنني بالتأكيد رأيتهم عندما كنت صغيراً، لأنهم يأتون إلى هنا دائماً".

أما شقيقته ديار 12 عاماً، فكانت تتلقى درساً في العزف على البيانو في المرة الأخيرة التي دخل فيها الجيش إلى المنطقة فتقول:

"كلما جاء الجيش، يكون هناك غاز مسيل للدموع". إنها تقارن ذلك بالحياة في أماكن أخرى، فتقول: "أرى أطفالاً في بلدان أخرى، وفي عوالم أخرى، يعيشون في أمان، بينما نحن لا نستطيع حتى الخروج من باب بيوتنا دون أن نعاني".

في الأشهر التسعة الأولى من عام 2025 وحده، نفذت القوات الإسرائيلية ما يقرب من 7500 عملية مداهمة في أنحاء الضفة الغربية

آراء حرة..

"الحرب التي غيّرت العالم"

حسن خضر*

وصلنا إلى طبقة جديدة أُضيفت إلى "رواية" الإسرائيليين التقليدية عن علاقة دولتهم "بالغرب" وأهميتها السياسية، ورمزية وجودها. الطبقة الجديدة ليست من صنعهم، في المقام الأوّل، بل من صنع المسيحية الإنجيلية. وهي ليست ظاهرة جديدة في تاريخ الفكر الديني المسيحي منذ عصر النهضة، ولا في تاريخ البروتستانتية الغربية، والولايات المتحدة. لذا، تستمد أهميتها الاستثنائية، في الوقت الحاضر من حجمها الديموغرافي، ووزنها الانتخابي في لعبة الانتخابات الأميركية، ومكانتها في العمارة الأيديولوجية لليمين الأميركي، والغربي عموماً.

يؤيد 77 بالمائة من المسيحيين الإنجيليين الدولة الإسرائيلية لأسباب لاهوتية. لذا، لا تجدي معهم المرافعات العقلانية. فهي تمثل، في نظرهم، تحقيقاً لنبوءة توراتية، ووجودها لا غنى عنه لأنه يُمهد الطريق إلى عودة المُخلّص. وهذا يضعها في حالة تضاد تام مع اليهودية الأرثوذكسية، الديانة التي حكمت مجتمعات اليهود، ومخيالهم الديني والسياسي منذ خراب الهيكل الثاني، في القرن الأوّل للميلاد، وحتى أواخر القرن التاسع عشر، عندما نكث الصهاينة المتدينون بالأيمان الثلاثة (خلاصتها انتظار الخلاص الإلهي) بدعوى تعجيل الخلاص.

على أي حال، تتراوح أعداد المسيحيين الإنجيليين ما بين 78 – 100 مليون نسمة، في الولايات المتحدة، وقد صوّت 80 بالمائة منهم لدونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأخيرة (2024) كما صوّت له 81 بالمائة منهم في انتخابات 2016. وهذا يعني أن المذكور ـ الذي يمثّل ظاهرة استثنائية في تاريخ علاقة الرؤساء الأميركيين بإسرائيل ـ مدين بوجوده، مرتين، في البيت الأبيض لهؤلاء.

ثمة زاوية مُظلمة، ومُعادية لليهود في التصوّرات اللاهوتية للمسيحيين الإنجيليين، فعودة المُخلّص مشروطة، في نظرهم، بتجميع يهود العالم في الدولة اليهودية، واعتناقهم للمسيحية بصورة جماعية دفعة واحدة. تروي المفكرة البريطانية المرموقة جاكلين روز قصة اللقاء اليتيم، الذي جمعها بنتنياهو، وردّه على تعليق لها، عن عداء المسيحيين الإنجيليين للسامية لأنهم يطالبون اليهود بالتخلي عن ديانتهم، قائلاً: "عندما نصل إلى هذا الحد سنناقش الموضوع."

ينطوي كلام نتنياهو على قدر واضح من الرعونة، بطبيعة الحال. وما يعنينا، الآن، أن المسيحية الإنجيلية، بما لها من الثقل العددي والانتخابي، تمثل مكوّناً عضوياً في البنية الاجتماعية، والرافعة الأيديولوجية، والعمارة السياسية، لليمين الأميركي (والغربي) الذي يقود انقلاباً، على مستويات مختلفة، ضد عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، والعولمة، وأنظمة الديمقراطية الليبرالية في الغرب.

ومع هذا في البال، فلنقل: إن تعبير اليمين لا يبدو واضحاً بصورة كافية، وتجتمع تحت مظلته الواسعة أطياف وأشباح مختلفة لا منسجمة، ولا موّحدة، بل تنطوي على تناقضات كثيرة توحّد معتنقيها أفكار تتراوح ما بين العداء للأزمنة الحديثة، والذعر من ظاهرة العولمة. وتتراوح في الحالة الأميركية، على نحو خاص (ومعطوفة على هذه الأشياء مجتمعة) بين نزعتين على قدر متساو من التناقض والعمق والأهمية هما الانعزالية والانفتاح على العالم. ومن الواضح أن نهاية الحرب الباردة هي التي أعادت الأشباح إلى متن الصراع على السياسات العامة، الذي غالباً ما يموّه نفسه في تعبيرات من نوع صراعات الهوية والمصير.

يمكن العثور على ترجمات، وتأويلات فلسفية، للانعزالية والانفتاح في مرافعتين لاثنين من علماء السياسة في أميركا، صدرتا بعد نهاية الحرب الباردة، وأثارتا قدراً من النقاش لم يخمد حتى الآن، هما "صدام الحضارات" لهنتنغتون، و"نهاية التاريخ" لفوكوياما. ففي حين اعتبر الأوّل أن الصدام واقع لا محالة على خطوط حضارية (هوياتية) للتماس بين كتل حضارية مختلفة، توقّع الثاني تعميم نموذج الديمقراطيات الليبرالية، أو قيمها على الأقل، في مناطق مختلفة من العالم.

تبدو الأولوية، وبقدر ما تجلى من حراك في العقود القليلة الماضية، معقودة للمرافعة الأولى، ويبدو صراع المسيحية الغربية ضد الإسلام، والأرثوذكسية الروسية، والطاوية الصينية، خلاصة موضوعية لصدام الحضارات. وفي هذا السياق، بالتحديد، يتموضع الموقف من إسرائيل، في صميم البنية الأيديولوجية للقوميات المسيحية والبيضاء من ناحية، وساحة لصراعات الهوية والمصير، على خطوط التماس بين قوى اجتماعية وسياسية على طرفَي نقيض في الولايات المتحدة من ناحية ثانية.

والمفارقة، في هذا الشأن (بمعنى أن الأيديولوجيا مجرد قناع لمصالح مادية يمكن تعريفها بطريقة أفضل دائماً) أن صعود اليمين الأميركي، الذي أطلقت الريغانية عقاله، ترافق مع، وتُرجم في، عودة الجمهوريين إلى موقع الأغلبية في الكونغرس (1994) بعد أربعين عاماً من التيه السياسي. والأهم، بقدر ما يتصل الأمر بموضوعنا، أن العودة الظافرة إلى موقع الأغلبية ترافقت مع رئاسة شخص اسمه نويت غنغرتش للكونغرس. وقد فوجئ الناس في أواسط التسعينيات، عندما خرج هذا الشخص بكلام مفاده أنه لا وجود لشيء اسمه الشعب الفلسطيني.

كانت تلك قمة رأس جبل الجليد العائم، وكانت المياه الجوفية تفعل فعلها في الأعماق: الجنوب الذي يسعى للثأر بعد هزيمة تاريخية في الحرب الأهلية الأميركية، المسيحية الإنجيلية التي تعيد ترتيب أوراقها في حقل السياسة، وفي الخلفية تتعرّض الأفكار التقدمية، واليسارية، للتهشيم تحت ثقل الركام الهائل لانهيار الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية، ويبدو اليمين (يمين ماذا ومَنْ، لا يهم) موجة المستقبل الصاعدة، وتبدو إسرائيل نقطة إجماع مركزية ـ بدلالات حضارية وسياسية تتجاوز الشرق الأوسط، وخصوصيات الحرب البادرة، والصراع في فلسطين وعليها ـ لقوى مختلفة تحت راية اليمين. وهذا ما يتجلى الآن في سياسات النخبة الأميركية الحاكمة، وبطريقة مُفزعة تماماً. فاصل ونواصل.

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

حكايات

”حسن مع سبق الاصرار والترصد “

حسن العلي

درس في العقيدة

لقد حان موعد حملة جديدة من رفع الأكف إلى السماء، وموعد آخر مع إعادة كتابة التأريخ، مع جعل المجرم أسطورة، بطلاً لا يُقهَر، لا يُهزم، ولا يمكن أن يخذله الإله!

سأل سائل:
ولكن، هل خذلان البشر من مقتضيات الألوهية أو الربوبية؟

أهلاً بكم في درسٍ من دروس العقيدة، والذي سنعيد فيه رسم شكل الله وحدوده، دون حاجة ملحّة إلى فهم وظائف الإله الأصلية، فمصالح العباد أهم من هذه التفاصيل والتنطع في الدين!

في هذا الدرس سنحدد حرامه وحلاله، وسنُقرّ نحن الناطقين باسمه بأن كل غاياتنا الدنيئة، وشبقنا السياسي، وصفقات السلاح، والقومسيونات، وسهراتنا الحمراء، هي في الحقيقة كلها وسائل مشروعة في الطريق إلى هذا “الله” الذي سنعيد في هذه الحصة إعادة صياغة أهدافه السنوية!

أجل، إخوتي وأخواتي في الدين أو الوطن أو المذهب أو في الخلق، تعبيرٌ فضفاض نستخدمه عند الحاجة، مرة في الصباح وأخرى عند المساء، لنرسم له حدوداً سيلتزم بها بكامل إرادتنا، وبختم أكبر عماماتنا، فنحن في هذه الحصة بالذات لا نتألّه على الله!

دق جرس الاستراحة، ولابد من منح الإله فرصةً ليستوعب مهامه التي تم الاتفاق عليها! ألم يخلق الكون في ستة أيام؟ إذن لابد من استراحة “إله” يتأمل من خلالها بيئة عمله الجديدة، ويتفنن في إدارة الموارد البشرية، والموازنة بين لعاب السياسيين الذين يحكمون “بأمره”، ورغبات أصحاب رؤوس الأموال، وسدنة اللجان الاقتصادية!

رئيس وزراء جديد هنا، وانتخابات نزيهة هناك، وحقائب وزارية حسب أداء ونزاهة أصحاب المعالي؛ لا محسوبيات، ولا استحقاقات إثنية أو مذهبية، ولا أقلية مدعومة من خارج الحدود، معاذ الله!

رفع أحدهم إصبعه:
ماذا عن الوحي؟ ماذا عن زهد الوصي والخليفة، وسياسة “من أين لك هذا”، ورتق الثوب، وإقامة الصلاة؟

الصلاة عماد الدين يا ولدي، أما الوحي فسنستبدله بقناة حوارية، ولا حاجة للرسل ولا للأنبياء، فلقد انقلبت الأدوار، وأصبح طريق الوحي ذا اتجاهٍ واحد، وتذكرةَ ذهابٍ دون عودة، من تحت عباءتنا، "all the way" إلى السماء!

قراءة التاريخ

لجاري أوغستينو مواقف لا تُعد، بل إنه أمعن في قراءة تأريخنا وجغرافيتنا ليكون أكثر ألفةً وقرباً من مزاجي الموبوء بالشرق الأوسط. وفي الليل، عندما تتناوب عليّ كوابيس وطني، يأتيني مسرعاً بقصاصة فيها المأثور من الدعاء:

”إليك يا حسن، اقرأ منها وانفخ في هذه الكأس واشربها! سينزاح همّك، وتنسى، وتغفر للقدر الذي منحك شهادة ميلاد مكتوبة باللغة العربية!“

”مجانين أنتم أيها العرب!“

”لستُ عربياً يا أوغستينو، نعم أحتفظ ببعض جينات العرب، لكني لست عربياً!“
”لكنك من هناك، أليس كذلك؟“

أكتفي بهزّ رأسي موافقاً، بعد حوار عبثي عن سايكس ـ بيكو ومعاهدة لوزان.

”لعن الله الحلفاء، ولكن إياك أن تلعن الدوتشي، إياك يا حسن!“
”بين الدوتشي ولوزان حربين يا أوغستينو، لن ألعنه، فهذا شأن داخلي لن أخوض فيه!“

جلس أمامي، اشتكى من كلب جارنا المشترك، واشتكى من مارغريتا، بائعة السوبر ماركت الذي يتربع على عرش اقتصاد السوق في قريتنا، لأنها تهكّمت عليه هذا الصباح! واشتكى من الصيدلي الذي يصرّ على أن يأتيه أوغستينو بوصفة حبوب الضغط في كل مرة يطرق باب الفارماتشيا!

حدثني كيف التقى بكاترينا عندما كان شاباً؛ اشترى لها تذكرة إلى أوبرا عايدة ، حين التقاها في حانة بمدينة ڤيرونا. لا يذكر الشهر ولا السنة، لكنه يذكر أنها كانت في بداية الثمانينيات.

”عشقتها يا حسن، حتى جاء ذلك اليوم الذي وجدتها في الفراش مع رجل آخر! خرجت ولم أعد، ورميت أحلامي من النافذة مثل عقب سيجارة!“

فرشتُ رقعة الشطرنج. ألعب معه بالقطع البيضاء، ويعشق الدفاع الصقلي، ويعرف تماماً بأنني سأحرّك حصاني إلى مربع C3 ، وبعدها أقدّم البيدق إلى مربع F4. يضحك مني، وتبدأ معركتنا التي تنتهي بلا شيء، عندما يدرك كلانا بأن لا جدوى من إكمال الدور، لنعود إلى الحديث عن السياسة، وعن غلاء الأسعار، وعن كلب جارنا المشترك الذي يتبول على جذع شجرة التوت، وعن كل النساء اللواتي عرفهن، وعن كاترينا التي أحسنت قتله في ڤيرونا وتركته للجدران العتيقة !

خمول فكري

كان حديثي مع الصديق العزيز باسم البلداوي قبل أيام، واستوقفتني مقولته التي سأقتبسها هنا حرفياً: ”الغيب ساحة رحبة للكذب“. فصرخت: وجدتُها، وأخيراً هناك فكرة !

فعندما تعجز مؤسسات الدولة عن تنشئة أجيال من الأطفال الأصحاء بدنياً ونفسياً، وعندما تعجز عن رسم سياسات مدروسة تهدف إلى النهوض بمجتمعاتنا، وعندما تعجز وزارة الصحة عن بناء مستشفى ومستوصف في كل حيّ وإدامتهما، فسيجد رجل الدين المُسيَّس ضالّته وتستعين به الدولة لتخدير الشارع. فعزيزة وصلاح ومحمود قد تلبّسهم الجنّ، والطب البشري عاجز تماماً أمام أمور غيبية ليس لنا حيالها إلا الرضا بقضاء الله وقدره. وبعض الرقى الشرعية!

مرايا

"شخصية من بلادي " سيف الدين محمد الدوري

موفق الربيعي

الكاتب والمؤرخ والصحفي سيف الدين عبد الجبار الدوري ولد في بغداد الكرخ محلة التكارتة عام 1940. كان والده يعمل في السكك الحديدية في بغداد، درس في مدرسة الزوراء الابتدائية، وثم نُقل إلى مدرسة الكرخ الابتدائية، وفي مدرسة العسكري الابتدائية في جانب الرصافة، ثم أكمل الدراسة المتوسطة في متوسطة الجعيفر، وأكمل الثانوية في ثانوية الكرخ وتخرج فيها عام 1959 - 1960.

* اصبح معلما في مدرسة النزارية بالاعظمية التحق بأول دورة لمعهد إعداد المعلمين بالاعظمية لمدة سنتين، وخلال تلك الفترة قد عين في وكالة الأنباء العراقية عام 1962، والتي كان يعمل فيها ضمن الدوام المسائي.

* عمل مراسلاً في دمشق وفي عمان وعدن والقاهرة.

* قرر إكمال دراسته الجامعية، فالتحق لدراسة الصحافة بكلية الآداب بجامعة بغداد وحصل على شهادة البكالوريوس للعام الدراسي 1973 -1974 .

* عمل في الملحق الصحفي في بيروت للفترة من 1976 - 1980 وفي عدن 1984-1987، ثم في المغرب 1989-1991 بين عاد إلى بغداد بعد الغزو العراقي للكويت حتى أحيل إلى التقاعد في 2 فبراير 1992.

* بعد أربع سنوات قدم طلباً لدراسة الماجستير في معهد التاريخ العربي في المنصور وحصل على الشهادة عام 1996 .

* طلب اللجوء إلى بريطانيا عندما كان في عمان، وبعد سنة صدرت الموافقة وغادر عمان متجهاً إلى لندن، ومنح الجنسية والجواز البريطاني عام 2001.

* عمل في مجالات الاذاعة والتلفزيون وله خبرة في تحرير الاخبار الصحفية والاذاعية واخبار التلفزيون كما انه له خبرة في اعداد التقارير الاخبارية والتلفزيونية.

* له عدة مقالات سياسية وتأريخية وفنية منشورة في الصحف العراقية والعربية.

صدر له الكتب التالية:

ـ عبدالرحمن البزاز أول رئيس وزراء مدني في العراق الجمهوري). المؤسسة العربية للدراسات في بيروت.

ـ الفريق طاهر يحيى ضحية الصراعات السياسية والعسكرية في العراق). الدار العربية للعلوم.الطبعة الاولى

ـ نوري باشا السعيد 50 عاما على مصرعه ونهاية الحكم الملكي في العراق). الدراسات العربية للموسوعات في بيروت.

ـ الحراك السياسي في جنوب اليمن). دار جداول في بيروت.

ـ اللغز في اعدام ناظم كزار وعبدالخالق السامرائي واربعة من أعضاء مجلس قيادة الثورة). الدار العربية للموسوعات في بيروت

ـ فؤاد الركابي ضحية الحزب الذي أسسه). المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

ـ علي صالح السعدي وسلطة البعث الاولى في العراق يحتوي على اكثر من 700 صفحة.عن الدار العربية للموسوعات ـ بيروت.

ـ الفريق حردان التكريتي ضحية الخيانة والغدر.صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.

ـ الانقلابات العسكرية والصراع على السلطة في العهد الملكي.صادر عن دار ضفاف ببغداد.

ـ تحت الطبع حاليا الانقلابات العسكرية والصراع على السلطة في العهد الجمهوري يحتوي اكثر من 500 صفحة. دار الحكمة، لندن.

ـ عبد الخالق السامرائي ضحية المؤامرة المزعومة، دار الحكمة، لندن.

ـ من الذاكرة الدكتور تحسين معلة. دار الحكمة، لندن.

ـ طاهر يحيى ضحية الصراعات العسكرية والسياسية في العراق. الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت.

ـ العراق والكويت ازمات متوارثة ومستديمة صدر عن دار العرب .

ـ جميل المدفعي و دوره السياسي في العراق.

---

* سيف الدين الدوري

عمل مراسلاً في دمشق وفي عمان وعدن والقاهرة، وبعدها قرر إكمال دراسته الجامعية، فالتحق لدراسة الصحافة بكلية الآداب بجامعة بغداد، وحصل على شهادة البكالوريوس للعام الدراسي 1973- 1974. وعمل في الملحق الصحفي في بيروت للفترة من 1976 - 1980 وفي عدن 1984-1987، ثم في المغرب بين 1989-1991، عاد إلى بغداد بعد الغزو العراقي للكويت حتى أحيل إلى التقاعد في 2 فبراير 1992. وبعد أربع سنوات قدم طلباً لدراسة الماجستير في معهد التاريخ العربي في المنصور وحصل على الشهادة عام 1996، طلب اللجوء إلى بريطانيا عندما كان في عمان، وبعد سنة صدرت الموافقة وغادر عمان متجهاً إلى لندن، ومُنح الجنسية والجواز البريطاني عام 2001.

مرايا

« من ملعب الشعب إلى تورونتو... ستة عقود من الانتماء»

د . علاء محمود التميمي

ودع المنتخب العراقي رسميا منافسات كأس العالم لكرة القدم 2026، بخسارته أمام نظيره السنغالي بخماسية نظيفة، على ملعب "تورنتو ستاديوم" بكندا، في ختام مباريات المجموعة التاسعة بالبطولة.

لم تكن مباراة العراق والسنغال في تورونتو مجرد مباراة بالنسبة لي، بل كانت رحلة أعادتني ستين عاماً إلى الوراء.

عدت بذاكرتي إلى عام 1966، حين كنت في الرابعة عشرة من عمري، أجلس بين آلاف العراقيين في افتتاح ملعب الشعب الدولي ببغداد. يومها لعب منتخب بغداد أمام فريق بنفيكا البرتغالي، أحد أعظم فرق العالم آنذاك، بقيادة أسطورته أوزيبيو. انتهت المباراة بخسارة منتخب بغداد بهدف واحد، لكن أحداً لم يغادر الملعب شاعراً بالهزيمة. كنا نشعر بالفخر لأن العراق كان يفتتح ملعباً سيصبح رمزاً رياضياً ووطنياً لأجيال متعاقبة.

واليوم، وبعد ستة عقود، وجدت نفسي أجلس في مدرجات تورونتو، آلاف الكيلومترات بعيداً عن بغداد، أتابع منتخب العراق في كأس العالم. تغير الزمان، وتغير المكان، وتبدلت الوجوه، لكن شيئاً واحداً لم يتغير: ذلك الشعور العميق حين يرتفع العلم العراقي، ويهتف الناس باسم العراق.

كانت النتيجة هذه المرة قاسية. خمسة أهداف دون مقابل. نتيجة لا تليق بطموح العراقيين، ولا بما كانوا يحملونه من أمل وهم يتجهون إلى الملعب.

لكنني، وأنا أراقب الشوارع المؤدية إلى الملعب، شعرت أن هناك مشهداً يستحق أن يُكتب أكثر من نتيجة المباراة نفسها.

رأيت آلاف العراقيين يزحفون نحو الملعب وهم يلتفون بالعلم العراقي. رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً، جمعهم وطن واحد رغم أن الحياة فرقت بينهم في قارات الأرض.

لم أسأل أحداً من أين جاء، لأن الأعلام كانت قد ألغت أسماء المدن، والهتافات كانت قد ألغت كل الفوارق. لم يكن هناك إلا اسم واحد يتردد في الشوارع والمدرجات: العراق.

في تلك اللحظة أدركت أن الوطن لا يُقاس بعدد الانتصارات الرياضية، بل بقدرته على أن يبقى حياً في قلوب أبنائه.

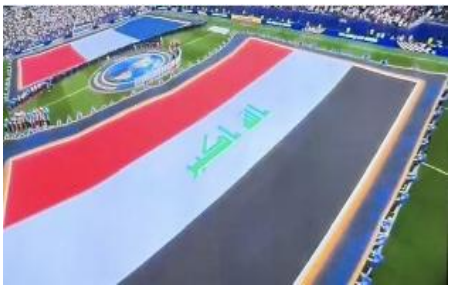

الهزائم جزء من الرياضة، وستأتي أيام ينتصر فيها العراق كما انتصرت أمم كثيرة بعد إخفاقات مؤلمة. أما ما لا يُشترى ولا يُصنع فهو هذا الانتماء الصادق الذي رأيته في تورونتو، والذي أعادني بذاكرتي إلى مدرجات ملعب الشعب قبل ستين عاماً.

بين المدرجين مسافة زمنية تقارب ستة عقود، ومسافة جغرافية تقارب عشرة آلاف كيلومتر، لكن الشعور كان واحداً.

في عام 1966 كنا نحلم بمستقبل العراق ونحن نهتف في ملعب الشعب.

وفي عام 2026 كنا نحمل العراق نفسه في قلوبنا ونحن نهتف له في تورونتو.

قد تخسر المنتخبات مباريات، لكن الأوطان التي تبقى حية في قلوب أبنائها لا تُهزم.

ولعل هذا هو أجمل ما خرجت به من هذه الرحلة: أن العراق لم يكن اليوم أحد طرفي مباراة كرة قدم، بل كان وطناً سار مع أبنائه في شوارع تورونتو، وارتفع فوق رؤوسهم علماً، وسكن حناجرهم نشيداً، وبقي، رغم كل شيء، أكبر من نتيجة مباراة.

توضيح بشأن ما نُشر حول إطلاق سراح الدكتور علي الذبحاوي

نود إعلام الزملاء والزميلات والأخوة والأخوات أن ما تم تداوله في بعض الصفحات الإعلامية حول إطلاق سراح الدكتور علي الذبحاوي غير دقيق حتى الآن.

إن الجهود الحثيثة والإنسانية والمسؤولة التي بذلها السيد النائب العميد عزيز ناصر، والسيد وكيل وزير الداخلية السيد حسين العوادي، أثمرت عن تقديم طلب التنازل في قضية وزارة الداخلية المقامة بحق الدكتور علي الذبحاوي التي رفعتها السلطه المنحرفه التي فبركت هذه الدعاوى من أجل الاطاحه بالذبحاوي وجعلها كالاسلاك الشائكه التي يصعب المرور منها..

إن ماتم إنجازه هو غلق قضيه وزارة الداخليه إلا أن هناك قضايا أخرى ما زالت قائمة، ومن أبرزها قضية جهاز المخابرات، إن لم يتم غلقها جميعاً كما غلقت قضيه وزارة الداخليه لا يتم إطلاق سراح الدكتور علي الذباحاوي بشكل نهائي.

ومن هنا نطالب جميع الزملاء والزميلات والأخوة والأخوات الذين وقفوا مع قضية الدكتور علي الذبحاوي واستمروا بالمطالبة برفع الظلم عنه، بمواصلة جهودهم الإنسانية والقانونية، والاستمرار بالمطالبة بإنصافه ورفع كاهل المظلوميه عن زميلهم واخوهم الدكتور علي الذبحاوي.

الحريه للمظلوم علي الذبحاوي
نصرة المظلوم على الظالم
علي الذبحاوي سجين في سجون كربلاء
عاش العراق بشعبه

البوست ـ المواطن علي

أزمان وأماكن

« المقاهي ذاكرة المدن.. »
من "هافانا" دمشق إلى "نيويورك" بودابست (2)

د. عبد الحسين شعبان

ويتميّز بطرازه المعماري الذي يلتقي فيه الفن الباروكي بالتصميم الحديث، وقد تردّد عليه مظفّر النواب خلال زيارته الأولى إلى براغ عام 1970 ولقائه بالجواهري، الذي كتب عنه قصيدة بعنوان "فاتنة ورسّام"، نُظمت في براغ عام 1970، ونُشرت بعد ذلك بعدة سنوات. كما أنني نشرتها مرّة أخرى في آخر موسوعة لي عن الجواهري الموسومة "جواهر الجواهري" (دار سعاد الصباح ـ الكويت، 2024)، وتتألف القصيدة من سبعة أبيات من البحر الوافر، ويستبدل فيها الجواهري اسم مظفّر النواب بمحمد المصباح، وقد رويت قصّتها في كتابي "الجواهري: جدل الشعر والحياة"، الصادر بطبعته الأولى عام 1997، ويقول فيها:

وقال "محمدُ المصباحُ" يومًا لفاتنةٍ من الغيدِ الحسانِ
من "الجيكِ" السواحرِ لستَ تدري بهنّ المحصناتِ من الزواني
هلمّي أرسمنكِ غدًا.. فقالت: غداةَ غدٍ وفي المقهى الفلاني
فقال: بمرسمي حيث استتمّت من الرسم المعاني والمباني.

كما كنت ألتقي مع بعض الأصدقاء في مقهى "أوبسني دوم" في قلب براغ، في ساحة الجمهورية وبالقرب من بوابة براغ القديمة، ويعني البيت البلدي أو العام، وهو عبارة عن مبنى تاريخي فخم يمثّل تحفةً معماريةً تنقلك إلى العصر الذهبي للتشيك وأوروبا في مطلع القرن العشرين، حيث افتتح عام 1912، ويتميّز بأسقفه الشاهقة وثرياته الكريستالية الضخمة ومراياه الكبيرة ذات الأطر الذهبية.

ومن روّاده الرسام العالمي التشيكي ألفونس موخا، كما كان الجواهري يتردّد عليه أحيانًا، وقد شهد المبنى حدثًا تاريخيًا مهمًا يحمل رمزية سياسية، وهو توقيع إعلان استقلال جمهورية تشيكوسلوفاكيا عام 1918. أما "مقهى سلافيا"، فلي فيه تاريخ طويل منذ أن كنت طالبًا لتحضير الدكتوراه في سبعينيات القرن المنصرم، حيث التقيت فيه بشخصيات مهمة مثل الجواهري ومظفّر النواب وأبي كاطع (شمران الياسري) وعبد الفتاح إبراهيم وعبد الغني الخليلي وداود سلمان يوسف (شفيق سكرتير الحزب الشيوعي "فهد"، الذي أُعدم عام 1949)، والفنانة سليمة خضير، التي كان والداي يحبّان اللقاء معها في هذا المقهى خلال زيارتهما لي في براغ في أواسط السبعينيات. تأسس "مقهى سلافيا" عام 1881، ويطلّ على نهر الفالتافا، وتقابله قلعة براغ من جهة، ومن الجهة الأخرى المسرح الوطني، وهو يبعد نحو 400 متر عن جسر جارلس الشهير. وكان المقهى التاريخي ملتقى للأدباء والفنانين، بمن فيهم الرئيس فاتسلاف هافل يوم كان معارضًا. ويتميّز بديكور كلاسيكي أنيق، ويُعزف فيه البيانو المباشر كلّ مساء، وفي ركن منه تُعلّق صورة الجواهري مع كبار الشخصيات الثقافية. وقد بيع المقهى بعد الإطاحة بالنظام الشيوعي عام 1989، وأُغلق لعدّة سنوات، لكن الإرادة الشعبية والثقافية التقت لإبطال عقد بيعه لمستثمر أجنبي باعتباره صرحًا ثقافيًا، كما سمعت.

وحين أكون للاستشفاء في مدينة كارلوفيفاري، دائمًا ما أجلس في مقهى عريق باسم "مقهى إلفنت" (الفيل)، الذي يطلّ على النهير القادم من أعالي الجبال، وقد تأسس عام 1715، وفي آخر زيارة لي جلست فيه. وللمقاهي في باريس نكهة خاصة، كما هي الحال في لبنان، حيث يحمل الكثيرون أوراقهم وأقلامهم وكتبهم وألوانهم ومشاريعهم وخططهم، ويعتبرونها بمثابة محلّ عمل يستخدمونه للكتابة أو الرسم أو التأمل أو الاتفاقات والاستمتاع بأوقات الفراغ.

أما اليوم، فالحاسوب المحمول (اللابتوب) والهاتف المحمول أصبحا يعوّضان عن الكثير من تلك الأشياء. وفي شارع الشانزيليزيه، الذي يُعدّ من أجمل الشوارع وأوسعها في العالم، أول ما يخطر على البال "مقهى فوكيه"، الذي تأسس عام 1899، وفيه ملتقى سنوي لنجوم السينما الفرنسية. أما "مقهى ليب"، فيقع في الحي اللاتيني الشهير (سان جيرمان دي باري)

باري)، ومنه اختُطف المناضل المغربي المهدي بن بركة عام 1965، واختفى كلّ أثر له إلى اليوم، وكان من جلّاسه إيرنست همنغواي وألبير كامو وبيكاسو. وثمّة مقهى باسم "لابروكوب" يعود تاريخه إلى عام 1686، ومن أبرز روّاده فولتير وجان جاك روسو، وهكذا يكون التاريخ حاضرًا والفلسفة معه، وهما أبو العلوم وأمّها، إضافة إلى الأدب والفن.

في فيينا كنت حريصًا دائمًا على الذهاب إلى "مقهى السنترال"، الذي تأسس عام 1876، وقد اعتمدته اليونيسكو مؤخرًا أحد الصروح الثقافية، ويتصدّر مدخل المقهى تمثال الشاعر النمساوي بيتر ألتنبرغ، الذي وُضعت إلى جانبه لافتة بالألمانية تقول: "هذا عنوان عمله وسكنه". ومن روّاد المقهى فرويد وكافكا وتروتسكي وتيتو. ومثل هذا المقهى يوجد بالاسم ذاته "مقهى السنترال" في بودابست أيضًا، الذي تأسس عام 1887، ويبدو أن الأمر له علاقة بتاريخ الإمبراطورية النمساوية ـ المجرية، التي تأسست عام 1867. مثلما ابتدأت في المقدمة بـ"مقهى نيويورك"، أعود في الخاتمة إليه، فقد كان هو المحفّز على هذا الاستحضار وتنشيط الذاكرة لاستعادة أهم المقاهي التي مرّت عليها، فأتأمل الفرقة الموسيقية التي تعزف فيه، والزهور التي تزيّن الأركان، إضافة إلى اللوحات والمنحوتات الدقيقة والأعمال الفنية، حيث يدوّن تاريخه أنه لم يكن مجرّد مقهى فحسب، بل كان نقطة انطلاق للأدب المجري الحديث، وكان الكتّاب الأكثر شهرة يلتقون فيه، كما كانت تُحرّر فيه أبرز الصحف، ويُقال إن يوم الافتتاح اكتظّ بالأدباء، وهناك من قام بإلقاء مفتاح بابه الرئيسي في نهر الدانوب العظيم ليبقى مفتوحًا طوال الليل، كما تقول السردية .

---

* ناقد وباحث سوري

إستذكار

« لحظة العبور إلى الماضي »
فصلٌ من زمنٍ يفتح باباً واسعاً للبوح والذكريات

الشاعر محمود درويش والكاتب عصام الياسري 2004

[خذوا أرضَ أمّي بالسّيف، لكنني لن أوقّع باسمي على بيع شبرٍ من الشوك حول حقول الذرة.]
محمود درويش

فصلٌ من ذاكرة الزمن، ورحلةُ بحثٍ تلامس أوتار وقفةٍ تأمليةٍ عميقة أمام حتمية الزمن، لاستكمال رسالةٍ أو ترك أثرٍ جميل تجاه إنسانٍ ربطتني به علاقة استثنائية قبل الرحيل وبعده. ولربما هي خاطرة شخصية تحمل المعنى نفسه، أسعى إلى تحويلها إلى نص أدبي متكامل.

لي مع الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش، الذي ارتبط اسمه في الذاكرة بشعر الثورة والوطن، ما أعتز به. ولي مع درويش في غيابه ما أحمله من ذكريات. قبل أيّام مرت علينا ذكرى ميلاده في 13 مارس 1941، وفيما بعد سنقترب سريعاً من ذكرى رحيله في 9 أغسطس 2008. نحييها كلّ عام من جديد، ونتهيأ لاستذكاره، غائباً حاضراً، في شعره ومواقفه. وما بعد الحنين، تبقى رحلة كلّ عام، بأحزانها ومروجها وأصدائها، مستمرةً دون انقطاع.

أمّا أنا، فتبدأ رحلتي في التعرّف إلى الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش عندما طرأت لي فكرة إقامة أمسية شعرية له في برلين عام 1995. يومها، وبينما كنّا في أشدّ العزيمة على ترتيب أمور الأمسية، وقد وصلنا إلى مرحلة متقدمة فنياً وإدارياً، التقيته في باريس لاستعراض الفكرة ومناقشة تفاصيلها. وبعد تبادل الآراء حول تطور المشروع، ولا سيما ما يتعلق بالترجمة والمشاركين، ووسط رزمٍ من خيوط الدخان المنتشرة في صالة المقهى الباريسي، تبادلنا الآراء والاستفسارات. ففي ذلك الوقت، لم يكن أيٌّ منا قد أقلع عن التدخين بعد، ولم نكن نترك فرصة للاستمتاع بهذه العادة القبيحة.

وفي وقت متأخر من الليل، افترقنا ليذهب كلّ منا في طريقه للراحة قبل السفر؛ هو إلى عمّان، وأنا إلى برلين.

انتهى اللقاء بيننا دافئاً على وعدٍ بأن نبقى على اتصال حتى موعد الأمسية. وفي 29 أكتوبر 1995 جاء درويش إلى برلين، ودخل القاعة الرئيسة للاحتفالات في دار ثقافات العالم وسط ترحيب كبير من الجمهور الذي اكتظت به القاعة للاستمتاع بأمسيته الرائعة.

مضى على تلك الأمسية وقت طويل، وتكررت بعدها الاتصالات الهاتفية بيننا. وكنا نتحدث في أمور كثيرة، منها ما هو سياسي ومنها ما هو ثقافي. وكنت ألتقيه، بين الفينة والأخرى، مصادفةً أو في مناسبات داخل ألمانيا وخارجها، في باريس وعمّان وبيروت والقاهرة وبرلين وفرانكفورت. وكنا كلما التقينا نتحاور ونستذكر الكثير مما يجمعنا، حتى تلك الأمسية التي كان يقول عنها دائماً، أمام جمعٍ من الأصدقاء، إنها من أجمل وأروع الأمسيات التي أُقيمت له.

رسالة الشاعر للكاتب حول الأمسية الشعرية 1995

عصام الياسري

ولا أنسى ذلك الحوار الممتع الذي دار بيننا في فندق هيلتون، على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب عام 1999. وكان حاضراً بيننا الشاعر العراقي الراحل سعدي يوسف، والكاتب المصري رفعت سلام، والشاعر العراقي الراحل عبد الوهاب البياتي، والشاعرة العراقية الراحلة لميعة عباس عمارة، والشاعر الفلسطيني الراحل سميح القاسم، وغيرهم.

وكان نقاشاً جاداً حول هموم السياسة في فلسطين والعراق. والجدير بالذكر أنّ عبد الوهاب البياتي كان يتنبأ هو الآخر بموعد رحيله المفاجئ. كما كانت تلك آخر فرصة لي لإجراء مقابلة معه. ولم تكن المقابلة في الشعر أو الأدب، أو فيما يُرتجى عادةً في سوق الثقافة، بقدر ما كانت حواراً ملحاً في الشأن السياسي العراقي، لم يخلُ بطبيعة الحال من نقد المثقف ودوره في المجتمع.

لكنني لم أنشرها بعد وفاته المفاجئة، بسبب تراكم الأحقاد السياسية في العراق بين مختلف القوى، حتى داخل الأوساط الثقافية الضيقة آنذاك. وربما كانت ستثير ردود فعل قاسية تجاه الرجل، خصوصاً أنني كنت صريحاً في مخالفته ببعض الآراء المتعلقة بخصومه الذين كانوا يبادلونه العداء بسبب مواقفه السياسية.

شاعر الفن والأرض

يزعم البعض أن قصيدة محمود درويش «جدارية»، التي يقول فيها: «أيّها الموت، انتظر حتى أعود...»، هي آخر قصيدة طويلة كتبها قبل العملية الجراحية الأخيرة. ولعلّ اللافت في «الجدارية» أنّ درويش، ولأول مرة، تحدّى الموت وحاوره وانتصر عليه، حين اعتبر أن الفن، بما يحمله من مضامين

تتمة ص التالية

راقية في الشعر والأدب وسائر الفنون، قادر على هزيمة الموت. وقد بلغ به هذا التحدي حدَّ المواجهة المباشرة.

هَزَمْتَكَ يا موتُ الفنونُ جميعُها

هَزَمْتَكَ يا موتُ الأغاني في بلادِ الرافدينِ

مَسَلَّةُ المصريِّ، مقبرةُ الفراعنةِ،

النقوشُ على حجارةِ معبدٍ هَزَمْتَكَ،

وانتصرتْ، وأفلتَ من كمائنِكَ الخلودُ،

فاصنعْ بنا، واصنعْ بنفسِكَ ما تريدُ، هَزَمْتَكَ يا موتُ.

غير أن «الجدارية» لم تكن، في الواقع، آخر قصائده، كما ورد في كتابات كثيرة نُشرت بعد وفاته وتناولت هذه المسألة. ومن بينها مقالة للكاتب الفلسطيني أمجد ناصر، سلّط فيها الضوء على قصيدة الوداع «لاعب النرد»، وما أثارته من جدل وتساؤلات في الأوساط الثقافية قبل دخول درويش المستشفى بأيام. وقد جاء فيها:

» سؤالي الأخرق عن تاريخ "لاعب النرد" كاد أن يقطع حبلاً بدأ يمتد بيننا، بقوة، للمرة الأولى. قلتَ لي إنك كتبت "لاعب النرد" قبل قصيدة النكبة بثلاثة أو أربعة أشهر. لا أعرف إن كان ذلك صحيحاً، فأنت لا تذيّل قصائدك بتاريخ أو مكان. الآن أشك في التاريخ الذي أردت تضليلي به، خصوصاً عندما أخبرني خيري أنّه لم يعلم بوجودها، وأكثر من ذلك حين فوجئ بها صبحي منشورة، وتسلمها غسان قبل ساعات من دفعها إلى الطبع. هؤلاء يطّلعون عادةً على البروفات الأخيرة لقصائدك. ليس هناك شاهد على ولادة قصيدة الوداع هذه إلا أنت. أنت وحدك من وضعها في بيت لا يُسمع فيه وقع قدم واحدة. لم يكن لدى لاعب النرد سوى لاعب النرد نفسه. ولم يسمع أحد تلك الرمية الأخيرة إلا من رماها.«

إذن، أستطيع أن أجزم، بعد تحرٍّ ومراجعة لهذه الشهادات، بأن «لاعب النرد» هي آخر قصيدة طويلة كتبها محمود درويش، وليست «الجدارية». وفي هذه القصيدة، شأنها شأن قصائد مرحلته الأخيرة، ولا سيما«الجدارية»، يستشرف درويش، بصوفية غنائية محلقة ووجدان إنساني عميق، نهاية الرحلة المحفوفة بالمخاطر والصدف، تمامًا كرمية نردٍ عابرة.

وقد أبدع الشاعر الفلسطيني العربي المقاوم للاحتلال الإسرائيلي هذا النص بشاعرية متدفقة وعذبة، رغم شعوره بوطأة العدم وحصاره. وكان محمود درويش قد ألقى القصيدة في رام الله في يوليو قبل وفاته. ويبدو، من خلال ما تحمله من خلجات وإيحاءات رمزية ذات دلالات عميقة، وكأنه كان يريد أن يدلي باعتراف ملحمي مباشر، يعلن فيه صرخة تحدٍّ للموت، ويكشف، على نحو غير مسبوق، عن أهمية التواضع الإنساني أمام المصير.

ومن حُسنِ حظّي أنني أنامُ وحيداً

فأُصغي إلى جسدي

وأُصدّق موهبتي في اكتشاف الألم

فأنادي الطبيب، قبيل الوفاة، بعشر دقائق

عشرُ دقائقَ تكفي لأحيا مصادفةً

وأُخيّب ظنَّ العدم

مَنْ أنا لأُخيّب ظنَّ العدم؟

مَنْ أنا؟ مَنْ أنا؟

وإذا كان ثمّة إجماع فكري وإعلامي على مآثر محمود درويش الشعرية والسياسية، فإن الساحة الثقافية لا تخلو أيضًا من إساءات تُوجَّه إلى مبدعينا وإلى موروثنا الأدبي والفكري العربي. ومما يؤسف له أنّ أصحاب هذه الحملات لا يتجرؤون على إعلان افتراءاتهم إلا بعد رحيل أولئك المبدعين، كما حدث مع شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري، وعبد الوهاب البياتي، ونجيب محفوظ، ونزار قباني، وإدوارد سعيد، وغيرهم.

ثم دار الفلك لينال من محمود درويش، وهو لم يُدفن بعدُ، في محاولة للنيل من مقامه الوطني والأدبي. ولا يمكن تفسير هذه المواقف وفق القاعدتين الفلسفيتين المعروفتين: «سوء الفهم» أو «الخطأ»، فلكل منهما موازينه ومعاييره، وإنما تندرج هذه الممارسات في إطار العمل المقصود لغايات وأهداف محددة.

يقول الشاعر العراقي الصديق شوقي عبد الأمير:

»صارت المواجهة بين محمود والموت يومية، وكان محمود يتأهب لذلك من دون أن يبدي خـوفًا ظاهرًا، حـــتى وقعت المواجهة الكبرى منذ سنوات بعد العملية الجراحية التي كاد أن ينتهي فيها. وكانت، بالفعل، مواجهة حقيقية بين كائنين؛ أحدهما يمثل ملاك الحياة، والآخر ملاك الموت. وقد شهدت قصيدته الرائعة "الجدارية" ملامح هذه الوقيعة، التي أظهر فيها محمود عبقريته، لا الشعرية فحسب، بل قدراته في المناورة والإقناع أيضاً. لقد كانت مرافعة نادرة ضد الموت على مسرح جسده الذي كان يذوي.«

وبرحيله فقدنا شاعراً عربياً كبيراً. وكان الشاعر العربي الكبير الراحل نزار قباني قد حرص، في آخر مقابلة أجراها معه الكاتب السوري الصديق نوري الجراح قبل رحيله، على مبايعته شعرياً في ظرف ثقافي كانت الأمة العربية أحوج ما تكون فيه إلى صوتٍ مثله.

ذهب شرساً، كالعنقاءِ محلّقاً، من دون أن يهزم الموت إلا بالخلود الذي تركه في قصائده. فما يخطر من أمر، وما يبقى من أثر، يظلّ الشعر فيه، كما هو محمود، حيًّا أبداً. تبقيه الذاكرة حيّاً بيننا، ويبقى هو صاحب القول المأثور، والحضور الذي لا يغيب.

*** وقائع الأمسية في الصحافة الالمانية والعربية:**

أُقيمت الأمسية التاريخية للشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش في 29 أكتوبر 1995 في الصالة الرئيسية بدار ثقافات العالم (House of World Cultures) في برلين.
شكّل هذا الحدث تظاهرة ثقافية بارزة وأحد أوائل الأنشطة الأدبية الكبرى على الساحة الألمانية الموحدة حديثاً.

كواليس وتفاصيل الأمسية والتحضير لها:
سبقت الأمسية ترتيبات مكثفة وزيارة عمل قام بها منظم الحفل الكاتب عصام الياسري للشاعر في باريس لضبط اختيارات القصائد والترجمات.

الحضور: شهدت الأمسية حضوراً حاشداً غصّت به القاعة بالكامل، حيث توافد محبو الشاعر وجمهور الأدب للاستماع إلى نصوصه.

الأثر: اعتبر درويش هذه الأمسية دوماً من أجمل وأروع الأمسيات التي أقيمت له في مسيرته.

قراءات وتأثير
في هذه الفترة الزمنية، كانت أشعار درويش تعكس تحولات عميقة وتساؤلات حول الهوية، المنفى، والوطن، مثل تلك التي ضمّنها في نصوصه الشهيرة. وقد وُصفت نبرته بأنها كانت عميقة وحاضرة بقوة في الوجدان الثقافي العربي والعالمي.

تَقَاسِيمُ شِعْرِيَّة

« فِي فَضَاءَاتِ مُوَشَّحَةٍ بِالْأَزْمِنَةِ وَالرَّمْزِيَّةِ »

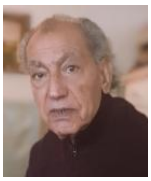

د.عدنان الظاهر

السَفَرُ

أغربُ أنواعِ الأسفارِ
حَفِظتُ طَرائِقَ بَلواها حَرْفاً حَرْفا ،
سافَرتُ وَلمْ أدرِ
أنَّ الأسفارَ سَتَقْتُلُني حيّا
وَسَتَقتلُ بَعدي أولادي
سَأُشَرَّدُ فيها وَأَجوعُ وَقدْ أَعْرى
وَسَأُدركُ بَعدَ الصَدْمَةِ أنَّ دُرُوبَ العودَةِ مُقْفَلَةٌ
أضْرِبُ في أرضٍ لا يَعْرفني فيها أَحَدٌ
لا يَسأَلُ عَنّي
لا يَعْنيهِ شيءٌ مِنْ أمري
لا سَكَنٌ أَقْضي فيهِ ليلي
لا أَحْمِلُ في جَيبيَ نَقْداً أو صَكّا
أَتَخفّى ما بينَ ظِلالِ الأشجارِ نَهاراً كالحِرباءِ
خَوْفاً منْ أَجْهِزةِ البوليسِ السريّ تُطارِدُ
أمثالي
وأُقضّي شَطْراً مِنْ مَلَكوتِ الليلِ
مَخموراً حيناً
مَلعوناً حيناً أخَرَ مُفْتَرِشاً إحدى قاعاتِ مَطارٍ
دَولي .

فلسفة الأبعاد

شمسُ تتقصّى أخبارَ نبيّاتِ صعُودِ السعدِ
تسألها عن هذا .. عن ذاكَ وعن ذا
الشمسُ على العهدِ
ضدَّ عناصرِ قتلِ النِدّ
الضدُّ اللوحِ السالبُ للضدِّ
يهواها شمسا
بَدْراً .. قَمَراً ومَحاقاً
يهواها (حوتاً منحوتا)
أيّاً ما كانتْ ومتى شاءوا أو شاءتْ
تتكاملُ نقصاناً في العدِّ
في طورِ التكوينِ ودَورِ ملقّاتِ التكويرِ
بائعُها شاريها
لم يطمثها إنسٌ قَبْلاً أو جانُ
تربتها بِكرٌ عذراءُ
بهجتُها فيها حَرّاً بَرْدا
مملكةُ السُندسِ والعِهنِ المنفوشِ
مَلَكاً يوحي ورسولاً يُوحى
تكتبُ عيناها بالرؤيا خطّا
أنَّ البُعدَ الخامسَ من أسماءِ الحبِّ الحُسنى
كلاّ ...
ما كانتْ للحبِّ السالفِ أبعادُ
الحبُّ النجمُ الساقطُ من ظمأٍ للأرضِ
حيثُ النجمةُ حوّاءُ
الحبُّ فِطامٌ ولِحامُ فِصامِ
داويهِ بشعاعِ النجمِ الثاقبِ كيّا
.....
سيّدةُ البُعدِ الخامسِ ضلّتْ ...
البعدُ الخامسُ تضليلُ
غابتْ عنها أبعادٌ أخرى
بعدَ الخامسِ أبعادٌ كُثرُ
عيناكِ البُعدُ السابعُ والثامنُ والتالي
النورُ الأخضرُ فيها مِسبارُ
ضوءٌ يغلي مصهورٌ صَهْرا .

غاباتُ الحبِّ

خاطرتُ ولمْ ألحظْ تقصيرَ البادي
ـ البادي مظلومُ ـ
لم أتداركْ تقصيري
قدّمتُ لها قُربانَ الذِكرى
أفرطتُ فجاءتْ أخرى
تتخبّطُ في ضوضاءِ مدائنَ تبحثُ في المقهى
عن سلوى
تتعاوى فيها أصداءُ الذؤبانِ .. حذارِ
(الغابةُ ليست مرعى)
سقطتْ من أعلى أغصانِ شُجيراتِ التينِ
المتبونِ
خصفتْ خَصَفتْ حتّى ملّتْ
غاباتُ العَتمةِ تزويرُ
يقتلُ فيها ذئبٌ ذئبا
تتبارى فيها أفراسُ هوايةِ تحديدِ الأسنانِ
العوجِ
صِنفٌ لا يشبهُ صنفا
نفَقتْ .. كانتْ إحدى فتياتِ رياضةِ فتلِ الحبلِ
سقطتْ أخرى
أسقطها جمّالُ النوقِ الحُمْرِ
ما كانتْ تعرفُ يُمنى مِنْ يُسرى
لا يعرفُ قاصيها دانيها
رابعةٌ تقضُمُ شِعراً قَضْماً .. كانتْ
جاءتْ تسعى عَدْوا
كوّتني منها نيرانُ الحصبةِ والحكّةِ والجُدري
مَسَختني عبداً موشوماً وعميداً معمودا
((هل المنادونَ أهلوها وأخوَتُها / أمْ المنادونَ
عُشّاقٌ معاميدُ / أحمد شوقي))
نشّرتُ مناديلَ الغصّاتِ وسبّحتُ الآفاقَ (
لِواءً) مطرودا
أتشممُ في ظُلمةِ ما حولي علّيْ
أستنطقُ أبواباً في دارٍ ضلّتني
حَرَمتني من سَقْفٍ أعلى من رأسي يحميني
شَهدتْ حالاتِ الحوبةِ جُرذاً يقضمُ في عظمي
((أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى / أقبّلُ ذا الجدارَ
وذا الجدارا))
((وما حبُّ الديارِ شغفنَ قلبي / ولكنْ حبُّ
مَنْ سكنَ الديارا))
ليلي في ليلى
مِشعلُها طاقاتٌ من نورِ التأجيجِ الكهروشمسي
أتبعُها حَرْفاً مجرورا
مُنتفخَ الأقدامِ الزُرقِ
لا ألقاها ...
سقطتْ في عرشِ فِخاخٍ من قشّ
أسقطها محرومٌ منها
ويلكِ من ليلي يا ليلى !
(يا راهبَ الديرِ هل مرّتْ بكَ الإبلُ) ؟
مرّتْ كثبانُ رمالِ الركبِ المَلَكيّ السامي
عَرَباتٌ يسحبها جُندٌ جوفٌ أسرى
لا نوقٌ لا ديرٌ لا ديّارُ !
***

فضاءات شعرية

قصائد... من ذاك المكان البعيد

ايفان علي عثمان

السؤال ...

ايفان
متى عرفت أو قرأت لـ جان دمو...
أنا شخصيا تفاجأت أن يكتب شاب بعمرك عن شاعر صعلوك وسط هذا الخضم المتلاطم من الشعراء...
الأديب العراقي عبد الأمير المجر

عبد الأمير المجر ... السؤال

له لون
كالفوارغ المعلبة
السؤال
أدهشني
بين الهائل والمطل
وسط الفاصل
شبابيك المجاور
وجهات الكاسر
حالم
بالحاد
باتجاه الشطر
بالطير جان
بتلويحات دمو
يتبع
المستبعد
للتعلق بالمغلق
صعلوك صغير
انا
الذاهب الى مسمارية
معي جنوبها
منحنيا
ممددا
صورة على المنبسط
صوت منطو
في المجر

الى .. ليكه مارسمان ...

شاعرة هولندا

انه ما تركته خلفي
مكان اخر
ينتظر توازنه
يسحب امامك
هناك
سطح يتأرجح
مثل
ظل قشور الجرح
متخفيا
على جوانبه
يقف ما تركه
متشابك
يكرر تحللا
مجرى حمض
كومة ترتر
غرفة كهربائية
تسند الخارج منها
بدورانك
توشوش للداخل اليها
بدوائرك
والان
يتماوج كمشيك
متحسسا
كل هشاشته
كقصصك السريرية
كدورتك الليزرية
كامراضك المكشكشة
بقع
نتوءات
تورمات
انقطاع عن التنفس
هبات ساخنة
هلاوس في المرحاض

بولافا ...

النخب المنجمي
منفذ هالي
في
مخطوط الرسوبات
المشهد الانتقائي
المصوب نحو
اصداء متراكبة
بولافا
رنين سحابي
حمض اكليلي
لـ اصحاب السوابق

اوساج ...

اثر نافخ الطيف
خارج
غرفة المادة
و
طقوس الانزياح
مهيأ للعب دور
اوساج
بعد الحفر في
رغاوي الضوء
مرشح البعد المحايد
بـ المرآيا اللاصقة
بـ الوان المنامات

بلانش ...

قبلة قبل
الحصاد المزدوج
اعوجاجات داخل
حدائق الحبال الشمعية
اقتناص السحر السائل
هوة المغامرة السائرة
اشكال عضلية من رحلة رقص
ادوات بلانش
عوالم رخوة
تحت
قشرة الاعصاب الثخينة

فولي ...

الحس
مخبأ في
فالق الفوضى
يتلون ببطء
بواسطة
حاصدات الصدى
يصل الى
انثناءات فولي
يكنس رحلات
الجسد المستعاد
بين جزأين
وسط شحوم الصوت المخرب
ورهاب الادراج

---

* شاعر وكاتب

استذكار

» لطفيّة الدليمي«
نعمةُ العيش بقلبٍ لا يعرفُ الضغينة...

عماد كريم

نبحثُ طويلاً عمّا ينقصُنا، ونادراً ما نتأمّلُ ما هو طوعُ أيدينا. نعيشُ وكأنّ الحياة مَدينةٌ لنا بشيءٍ إضافي دائماً؛ بينما العطايا الصامتة تنسلُّ من حولنا بلا امتنان، بلا اعتراف، وكأنها تفاصيل لا تستحقُّ الوقوف عندها. الحقيقة المؤلمة -لو عرفنا- أنّ كثيراً مما نفتقدُهُ ليس مفقوداً بل مركونٌ في زاوية النسيان.

نحوزُ في حياتنا أشياء لو أدركنا قيمتها لخشيْنا فقدانها كما نخشى على أعمارنا: سلامُ الروح، وسكينةُ القلب. نبدّدُهما بنزقٍ غريب في خصومات لا ضرورة لها، وفي كراهية مستعجلة، وفي أزمات نصنعُها بأيدينا ثم نشكو ثقلها الضاغط على صدورنا .

كم مرّةً خضنا معارك كان يمكنُ تفاديها؟ كم مرّة تشاجرنا لنبرهن لأنفسنا والآخرين أننا على حق، وخسرنا في المقابل راحةَ يومٍ كامل؟ كم مرّة حمّلْنا قلوبنا ضغائن أثقل من قدرتها على الإحتمال، ثم تساءلنا لماذا صرنا مُتعَبين؟

أحياناً، يكفي أن نتوقّف قليلاً لنسأل -أو نسائل- أنفسنا سؤالاً بسيطاً: هل فكّرْنا يوماً في نعمةِ أن نضع رؤوسنا على الوسادة لنغفو، دون أفكار متزاحمة، دون قلق ينهش صدورنا، ومن غير تصارع الأحشاء الداخليّة، بعيداً عن حوارات مؤجلة لا يطيبُ لها ملاعبتُنا بخبث إلّا في جوف الظلام حيث نتوقُ إلى راحة مفتقدة؟

هل نحسبُ هذا أمراً يسيراً؟ أؤكّدُ لك، وهذا بعضُ أثمنِ ما تعلّمتُهُ في حياتي، أنّك لو استطعت أن تنام بقلبٍ تعمّرُهُ السكينةُ، وروح فيّاضة بالسلام، فأنت أحدُ ملوك هذا العالم، حتى وإنْ لم تحمل صولجاناً، ولم تَحِطْك الهيبةُ أو الأضواء. مَلِكٌ بلا ضجيج، بلا عرش، بلا هيلمانات؛ لكنْ بثروة لا تُقدّرُ.

أتصدّقُ أنّ كثرةً من هؤلاء يحسدونك على النعيم الذي تقيمُ فيه؟

نحن نبخس أشياءنا الجميلة لأنّنا اعتدناها. نتعاملُ معها بقوّة الإعتياد، ونحسبها أشياء ممنوحة لنا For Granted كما تقولُ العبارة الإنكليزيّة. نستخفُّ بالسّكينة لأنها لا تُرى، ولا تُعرَضُ، ولا تُقاس بالأرقام؛ لكنّها في الحقيقة أثمنُ ما يمكنُ أن يحوزهُ إنسان. ما قيمةُ نجاحٍ مقترن بقلق مزمن؟ وما معنى إنجازٍ يُبنى على خصومة دائمة مع النفس والآخرين؟

*****

يُنسَبُ إلى رولان بارت قولُهُ " الفنّان الحقيقي لا يعرف الضغينة". ربّما لا يهمّ كثيراً التحقّقُ من صحّة التنسيب بقدر ما يهمُّ عمقُ المعنى. الفنُّ، في جوهره، فعلُ تحرّر، والضغينة، في جوهرها، شكلٌ من أشكال الأسْر. بهذا الفهم يمكنُ تعميمُ العبارة من غير كثير تحسّب لتكون: الإنسان الحقيقيُّ لا يعرف الضغينة.

الضغينة ليست إنفعالًا عابراً ولا غضباً لحظيّاً. إنها غضبٌ توطّن القلب، وألمٌ رفض أن يَشفى، وجرحٌ قرّر أن يتحوّل إلى هوية. الضغينةُ هي الذاكرة حين تفقد قدرتها على النسيان الذي يرحمُ أرواحنا وأرواح سوانا من البشر، حينها تغدو الذاكرةُ مستودع نفايات مسمومة. ما من شيءٍ يدمّرُ سلام الروح ويزعزعُ سكينة القلب كما تفعل الضغينة.

نخطئ حين نعتقدُ أنّ الضغينة تُرهق الآخر. في الحقيقة، هي تُنهكُ حاملها أولاً. تُثقِلُ الصدر، وتُعكّر النوم، وتُفسِدُ حتى اللحظات التي كان يمكن أن تكون جميلة. نضحك، نعم؛ لكنّما الضغينةُ تتربّعُ في زاوية القلب تراقب. ننجح؛ لكنّها تهمسُ لنا بأنّ النجاح ناقص ما دام الغريم لم يُهزَمْ. نهدأ ظاهريّاً؛ غير أنّ دواخلنا في حالة استنفار دائم بفعل الضغينة. أيُّ سلامٍ هذا الذي لا يتحقّقُ إلّا مقترناً بمقادير مميتة من التوتّر الصامت؟

الضغينة عدوّة السّكينة لأنّها تُبقي الإنسان في حالة دفاعيّة متواترة فتنهكه. تُعيد تشغيل الحوارات القديمة، والمشاهد المؤلمة، والخصومات المنتهية زمنيّاً لكنّما المستمرّة في إعطابِنا نفسيّاً. يبدو الأمرُ كأنّ العقل

يرفضُ أن يُغلق ملفّاً ما، فيظلّ يفتحه ليلاً عندما نتوسّلُ السكينة، بلا فائدة، بلا نتيجة. ليس سوى استنزافٍ جديدٍ لأرواحنا وقوانا. الأخطرُ من هذا أنّ الضغينة تتبدّى لحاملها شكلاً من أشكال القوّة أو الكرامة. نخلطُ بينها وبين حفظ الحقوق، وبينها وبين الوعي بالظلم؛ بينما الفارق شاسعٌ بين الإثنيْن. أن تعرف ما جرى لك، وأن تضعه في مكانه الصحيح، هذا وعيٌ؛ أمّا أن تسمح له بأن يحتلّ قلبك ويستوطن ذاكرتك فهذا خراب ذاتيّ وتدميرٌ غير مسوّغٍ لا بطولة فيه.

سلامُ الروح لا يعني أن نُبرّئ الجميع، ولا أن نمحو الذاكرة، ولا أن نُمارس العمى الأخلاقي. هو يعني -ببساطة- أن نرفض بقاءنا رهائن لما لا يمكِنُ إصلاحُهُ. أن نُدرك أنّ بعض المعارك انتهت، حتى لو لم نربحْها، وأنّ بعض الأسئلة لن تنال جواباً، وأنّ الإصرار على حملها لن يمنحنا سوى إرهاق إضافي غير منتج.

الإنسان الذي يعيشُ السكينة المديدة في داخله ليس إنساناً ضعيفاً أو واهناً أو عاجزاً عن المقاومة وخوض الصراعات. هو إنسانٌ اختار أن لا يخسر نفسه. اختار ألّا يحوّل قلبه إلى ساحة تصفية حسابات. اختار أن لا يُعلي شأن النوازع الصراعيّة فيه سعياً لأن ينجو بروحه بَدَلَ أن ينتصر في معركة خاسرة في أثمانها النفسية التي سيتكفّلها وحده .

في عالمٍ يفيض بالإستفزاز، ويكافئُ الغضب، ويضخّمُ الأحقاد، يصبحُ التحرّر من الضغينة فعلَ مقاومةٍ هادئة. مقاومةٌ بلا

** كتبت هذه المقالة قبل اسبوع من مرض الكاتبة

الفنان مناضل داود التميمي...

سيرة إبداع تتقاطع فيها الكلمة مع الخشبة والصورة.

د.كاظم جمعه الغزي

في المشهد الثقافي العراقي، تبرز أسماء صنعت حضورها عبر تعدد التجارب وعمق الانشغال بالفن والفكر، ومن بين تلك الأسماء يلمع اسم الكاتب والصحفي والمسرحي والشاعر مناضل داود سلمان هادي التميمي بوصفه واحداً من المبدعين الذين تنقّلوا بين الشعر والمسرح والصحافة والإعلام، فجمعوا بين الحس الإبداعي والرؤية الثقافية الواعية، ليقدّموا تجربة ثرية تستحق التوقف عندها.

وُلد التميمي عام 1960 في مدينة العمارة، حيث كانت البدايات الأولى لتكوينه المعرفي والإنساني. أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة الكرامة، ثم في مدرسة الإمام الصادق في منطقة السراي بمركز المدينة، قبل أن يواصل مرحلته الثانوية في الثانوية المركزية، وهي مراحل أسهمت في صقل وعيه المبكر وفتحت أمامه آفاق الاهتمام بالأدب والفن.

تلقى تعليمه الفني في معهد الفنون الجميلة – قسم المسرح في البصرة، ثم أكمل دراسته في بغداد عام 1979، واضعاً أولى لبنات مسيرته الفنية. كما عزّز خبرته بدورات متخصصة في الإعلام والصحافة، ما أتاح له الجمع بين العمل الإبداعي والممارسة الإعلامية.

تنوعت اهتماماته بين الدراسة والعمل، فخاض تجربة دراسة القانون والسياسة لثلاث سنوات، لكنه لم يُكملها لأسباب سياسية، ليواصل مسيرته في مجالات أخرى، حيث حصل أيضاً على دبلوم في التجارة والإدارة، وهو ما انعكس على رؤيته الواسعة في الكتابة والتحليل.

في ميدان الإبداع، قدّم التميمي نفسه شاعراً وكاتباً مسرحياً وصحفياً، فكتب المقال السياسي والنص المسرحي، ونُشرت أعماله في الصحف والمجلات العراقية والعربية. كما خاض تجربة التمثيل في المسرح والتلفزيون والسينما، مشاركاً في أعمال درامية متعددة، ومؤسساً لفرقة القاعدة المسرحية التربوية في ميسان عام 1972، في خطوة مبكرة تعكس شغفه بالمسرح ودوره التربوي.

ولم يقتصر عطاؤه على الكتابة المسرحية، بل كتب أيضاً عدداً من الأغاني التي تغنّى بها فنانون عراقيون، إلى جانب حضوره في أدب الطفل، حيث نُشرت قصائده في مجلات متخصصة داخل العراق وخارجه، منها الأردن والإمارات، مما يدل على امتداد تأثيره عربياً.

أما في مجال الشعر، فقد أصدر عدة مجاميع، منها: "رغبات عاطلة" (2002)، و*"مساعدات امرأة"* (2001)، إضافة إلى مجموعة "ما يفسد نوم الغراب"، بينما لا تزال له أعمال أخرى قيد الطبع، مثل "قيامة الديناصور". وتعكس هذه الأعمال نزعة رمزية واشتغالاً عميقاً على قضايا الإنسان والواقع.

وفي ميدان الإعلام، عمل معدّاً لبرامج إذاعية وتلفزيونية في تلفزيون العراق وإذاعة الشباب، وأسهم في كتابة سيناريو الفيلم الوثائقي "زلزال"، فضلاً عن نصوص مسرحية منها "الراقص". كما عمل في الصحافة العراقية والعربية، وتولى مهام تحريرية عدة، منها رئاسة التحرير التنفيذي لجريدة "الرابعة المستقلة" وإدارة تحرير جريدة "الشرق اليومية".

شغل التميمي مواقع ثقافية وإعلامية مهمة، فكان مديراً لمنتدى شعراء بغداد – الكرخ، ورئيساً لرابطة الشعراء الفصحى، وعضواً في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق واتحاد الأدباء العرب، إضافة إلى عضويته في نقابة الصحفيين ورابطة شعراء الأغنية العراقية التي كان من مؤسسيها. كما أسهم في إدارة ملتقيات ثقافية، وشارك في هيئات فكرية متعددة.

ولديه حضور مسرحي مميز من خلال نصوص مثل: "سجون دمشق"، و*"رسالة موجهة بعنوان (لا)"، و"العالم طرف صناعي"، و"موندراما تسجيلية"*، وغيرها من الأعمال التي تعكس رؤيته النقدية واهتمامه بقضايا الإنسان والمجتمع.

إن تجربة مناضل داود سلمان هادي التميمي تمثل نموذجاً للمثقف الشامل الذي صاغ مسيرته من تنوع المعرفة وثراء التجربة. فمن العمارة حيث البدايات، إلى فضاءات المسرح والصحافة والشعر، ظل اسمه مرتبطاً بالإبداع الجاد والالتزام الثقافي. إنها سيرة تؤكد أن الكلمة حين تقترن بالوعي، تصبح فعلاً مؤثراً باقياً، وأن المبدع الحقيقي هو من يترك أثراً يتجاوز حدود الزمن.

« لطفيّة الدليمي«

ضجيج، بلا شعارات؛ لكن بنتائج عميقة؛ فحين يسكُنُ القلب تستعيدُ الروح قدرتها على التنفّس. أخطرُ ما يمكن أن نتعايش معه وكأنّهُ خصيصةٌ طبيعيّةٌ فينا هو أن نسمح للضغينة أن تقيم فينا إقامة دائمة. ما كلُّ ما يؤلمُنا يتوجّبُ أن يسكننا، وليس كلُّ مَنْ أساء إلينا يتوجّبُ أن يرافقنا إلى النوم.

الضغينةُ في جوهرها ناتجٌ ثانويٌّ للكراهيّة. المُحِبُّ لا تعرفُ الضغينة طريقها إليه مهما تلوّنت وسائلُها واحتالت في إغواءاتها. لستُ رومانسيّةً حدّ المطالبة بأن تكون قلوبنا مستوطناتٍ عامرةً بفُيوض المحبّة وإن كنتُ لا أرى شططاً في هذه الرغبة؛ لكنّما أعرفُ أنّ عالمَنا -كما نعرفه اليوم- لا يُتيحُ مثل هذه الإمكانيّة. يمكنُ في الأقلّ ترويضُ أنفسنا على أن لا نكره. أن نُبطِلَ فعل الكراهيّة تجاه الآخرين. لو فعلنا هذا ونجحنا فيه بعد تدريب ومشقّة فأظنُّنا سنعيشُ حياة أفضل بكثير، وبكُلّ المقاييس، ممّا نفعل اليوم .

*****

سلامُ الروح ليس انسحاباً من الحياة. هو مصالحةٌ معها. سكينةُ القلب لا تعني غياب الألم. إنّها القدرةُ على ألّا يتحوّل الألمُ إلى سُمّ دائم يديمُ الإستيطان في أرواحنا. سلامُ الروح المفضي إلى سكينة القلب هو أن نعرف متى نتجاوز، متى نصمت، ومتى نختار أنفسَنا بدل الإستمرار العابث في نزاعات لا رابح فيها.

لو عشتَ في محيطٍ لا يضمرُ لك الأذى، بين أناسٍ لا يتمنّون سقوطك وانكسارك، ولا يفرحون لحزنك، فأنت ذو حظّ عظيم. محظوظٌ أكثر مما تتخيّلُ حتى إنْ لم تدرك ذلك الإمتياز السّخي؛ فقلوبُ البشر، حين تخلو من الغدْر والإحتيال، نعمةٌ نادرة لا تُعوَّض.

لسنا في حاجة إلى المزيد من الصخب بل إلى القليل من السّلام.

لسنا في حاجة إلى كسْب كل معركة بل إلى النّجاة بأنفسنا .

لا نحتاج إلى جهد ملحميّ لتغيير العالم. هذا جهد ضائعٌ. الأسبقيّة دوماً هي أنّنا نحتاجُ أوّلاً إلى أن نكفّ عن تدمير هدوئنا وسلامنا بأيدينا.

لا تبخسْ أشياءك الجميلة والعطايا الثمينة التي وهبتْك إيّاها الحياة؛ ففي عالمٍ يزداد قسوة سيكون إمتيازك العظيمُ أن تعيش بسلام الروح وسكينة القلب.

سينما

سينما: مُثل السينما الاخلاقية؛ فيلم "شاعر"

الـ ("شاعر") Un poeta (2025

د. إشبيليا الجبوري

ت: من اليابانية إشبيليا الجبوري

مهمة المقال:

- كيف تزخر مُثل السينما الاخلاقية؛ السينما المعاصرة بشخصيات تتعلم شيئاً، وتتطور، وتجد نوعاً من الخلاص.؟

- ما سمات الفرص والقوة البنيوية الجمالية والاخلاقية؛ لتكشفه على النقيض من ذلك؟،

- وهل يتجه (الفيلم) في صفات شخصية البطل. نحو وضوح الأحباط المؤلم للشاعر. وهل رؤيته تُدرك أنّ العالم سيستمر في العمل على أكمل وجه بدونه، وأن الشارع سيظل يوفر المأوى بدونه، وأن البحر سيستمر في هديره الأبدي.

- ولكن. كيف يبدو فيلم "شاعر" . في بعض الأحيان. وكأنه كوميديا سوداء.

- وكيف يتمكن المخرج بإبداعية رائعة. توظيفًا جماليًا. أن يتجه إلى المتلقي. في تحويله لمس واقعية. وتشخيصا في الحقيقة إلى مأساة صامتة؟، و

- كيف منح جمالية إدارة زوايا الوقت للكاميرا أن تبقينا معها. مع الشاعر في نهاية المطاف معلقاً في مكانٍ أكثر إزعاجاً: مكان حياةٍ لا مستقبل لها ومع ذلك تستمر. وينتهي الفيلم نهايةً سيئة، كما تنتهي المآسي.؟

- العنوان الاصلي للفيلم: الـ("شاعر") Un poeta (2025 ()،

- إخراج وسيناريو؛ المخرج والكاتب السينمائي الكولومبي سيمون ميسا سوتو (1986-)()، و

- بطولة:

- الممثل الكولومبي أوبيمار ريوس (1971-)()، و

- الممثلة البرازيلية ريبيكا أندرادي (1999-)()، و

- الممثل الكولومبي غييرمو كاردونا (1977-)().

إذ الفيلم الكولومبي البارع. يكشف الأحباط. والمشقة والبؤس والألم . ببطء وترو. نحو اسمه. إن شئتم.

يمضي. بعد أن يتجول (أوسكار ريستريبو) في شوارع ميديلين. كشبح لم يتقبل موته بعد. يسير على الهامش، يسير كما تسير القصيدة، شاهدًا على واقعه، على الواقع نفسه. "من الشاعر والكاتب البيروفي سيزار فاييخو (1892-1938)()، تتفرع الدروب لتسير عليها أقدام الشعر، أقدام تخطو بصمت كحمار أنديزي."() كأنه يحمل شيئًا لا ينسجم مع العالم، كأن السماء لن تكف عن النزول عليه.

يسافر أوسكار على هامش وجوده ويستشعر نهايته، لا النهاية البيولوجية ولا الجسدية. ينظر إلى صورته في البعيد ويطارد نفسه. الآخر. آخره. قصة رجل يطارد رجلاً آخر. وكلاهما هو نفسه. ماذا يحدث عندما يقرر العالم أن المرء لم يعد له قيمة، وأننا لا نهم إلا قلة من الناس أو لا أحد؟ عندما يفقد المرء قيمته. كان أوسكار شاعرًا. نشر أعماله. كسب شيئًا. كانت هناك لحظةٌ نطق فيها أحدهم اسمه باحترام، بمحبة، وبشيء من الإعجاب. لكن الريح دائمًا ما تنتصر، الريح دائمًا ما تجرف كل شيء. كما تجرف القصيدة، كما تجرف الناس، والطفولة، والسعادة... الريح التي تكتسح النجوم، والشعر الذي يسبح في الهواء ويتألق، ثم يخبو، ثم يتألق من جديد في غيابه.

الآن يعيش أوسكار بين صداع الخمر وذكريات نفسه ولحظة مجده. هذه هي المأساة الأشد ضراوة في هذا الفيلم الكولومبي الذي يجب على الجميع مشاهدته ليكتشفوا أن الفشل لا يأتي فجأة، وأن كل شيء ينهار شيئًا فشيئًا... أن المرء يحترق ببطء، وأن المرء يستقر ببطء، مثل رطوبة تغطي جدران المنزل، وتنمو حتمًا في زوايا الفكر، وتنمو في التوبة، وفي التساؤلات التي لا تنتهي.

هذا الفيلم ليس كغيره من الأفلام التي تبدو وكأنها صُنعت في مكاتب ثقافية، بمنحة أو دعم. كما أنه ليس مصوّراً بدافع الحنين إلى الماضي، من شخص لا يزال يعتقد أن الشعر طقسٌ خاصٌّ بفئةٍ مختارة. الشاعر ينبع من مكانٍ آخر. ينبع من الإرهاق، من الهزيمة، من الكحول المُقطّر على الأرصفة والطاولات البلاستيكية، من دفاتر رطبة حيث يواصل أحدهم الكتابة لأنه لم يعد يعرف كيف يفعل أي شيء آخر.

سيمون ميسا سوتو -مخرج الفيلم- يُدرك شيئاً قلّما استوعبته أفلامٌ عن الكُتّاب: أن الشعر مُحاطٌ ببيئةٍ بائسة، وعالمٍ بائس، وجنوبٍ عالميّ قذرٍ، ولكنه واقعي، بلا ألعاب نارية، بلا منعطفاتٍ وتحولات، وبلا تراجع. ضربةٌ قاضية! كما ينبغي أن تكون. ليس لأن الشعراء أسوأ من بقية المجتمع، بل لأنهم تماماً مثلهم، مرآةٌ تشقّ وتجوب شرايين الوجود الإنساني. نفس الغرور، نفس الحاجة إلى التقدير، نفس النرجسية، نفس اليأس من أجل الظهور في أعين الآخرين ونيل القبول. شاعرٌ يُغيّر المشهد ويُفجّره. فبينما يعرض الآخرون ميزانياتهم أو ممتلكاتهم، يعرضون كتبًا لا يقرأها أحد، وجوائز منسية لا يكاد يحضرها أحد، وصورًا باهتة من مهرجانات كانوا فيها ذوي شأن. وسائل إعلام محلية، وفنانو ريغيتون يُبدعون، والشعر هناك، في تلك الزاوية، يسمو فوق البؤس ويُحلّق فوقه. الشعر كجائزة ترضية في الأخبار على قناة تلفزيونية هامشية، بجمهور معدوم. لكنه شامخ، يُواجه الموت.

في هذا النظام البيئي من قراءات شبه فارغة، وورش عمل أدبية، وتسلسلات هرمية ثقافية صغيرة، وأنا مجروحة، يجد الفيلم حقيقة وحشية وواقعية للغاية. يظهر الشعر كأرض مليئة بالمهزومين، الذين ما زالوا يُقاتلون من أجل تاج غير مرئي، من أجل جائزة لن تأتي

تتمة ص التالية

أبدًا. رجال ونساء، وشباب متقدمون في السن يدافعون عن مكانة ضئيلة لا قيمة لها، محكوم عليهم مرة أخرى بالتهميش. شعراء طموحون يسعون لتحويل الألم إلى رصيد رمزي، إلى اعتراف. مديرو ثقافة يتحدثون وكأنهم يحرسون معبدًا بينما هم بالكاد يديرون أطلالًا. هذا ما يدور حوله كتاب "شاعر". هذا ما يدور حوله الشعر. إنه يدور حول إدارة أطلال مجتمع لم يعد موجودًا، وربما لم يكن موجودًا أبدًا.

الفيلم ضخم، وعظمته تكمن في تركيزه على شخصياته، جميعهم ممثلون غير محترفين. ولا ينظر إليهم بازدراء، بل ينظر إليهم ويصور واقعهم المرير. لا وجود للتعالي، ولا للرسوم الكاريكاتورية السطحية. يراقب ميسا سوتو أوسكار -البطل المدمر- بمزيج من القسوة والحنان، ولكن أؤكد لكم أنه يميل أكثر إلى القسوة. يرافقه وهو يُذل نفسه، ويكذب، ويتشبث بمثال مستحيل عن نفسه، وعن ابنته، وعن شريكته السابقة، وعن والدته، وعن شابة موهوبة، كاتبة بارعة، امرأة تُلهمه بما كان يمكن أن يكون عليه. ومع ذلك، لا يفشل المخرج أبدًا في إدراك جانب إنساني عميق فيه. ما أصعب تحقيق ذلك في عالم سينمائي يزداد فيه تأثير الخوارزميات والفراغ!

لأن البطل ليس مجرد شاعر فاشل، كما يريدنا أن نعتقد. إنه رجل عاجز عن التفاوض مع الواقع، مدركًا أنه لا سبيل أمامه سوى طريق الخسارة والهزيمة.

أمضت السينما اللاتينية عقودًا في محاولة تصوير التهميش بنظرة صادقة. أحيانًا تحوّله إلى بطاقة بريدية للمهرجانات الأوروبية، وأحيانًا أخرى إلى مجرد إحصائية اجتماعية. هنا، يحدث شيء مختلف. للفقر نسيجٌ، فتصدقه. له رائحة، فتصدقها. إنه في الغرف الضيقة، في التنقلات التي لا تنتهي، في الملابس البالية. تظهر ميديلين على حقيقتها، يسكنها أناسٌ يبدو أنهم موجودون حتى عندما تتوقف الكاميرا عن تصويرهم. ينبع واقعية الفيلم أحيانًا من نهج وثائقي. إنها تنبع من الشعور بأن كل شيء يمكن أن يستمر على نفس المنوال، حتى لو اختفت السينما وشعر الشارع - الشعر الحقيقي.

هناك مشهد متكرر يمتد عبر الفيلم بأكمله، مشهد متواصل: الشاعر الذي يصل متأخرًا إلى كل شيء. متأخرًا عن النجاح. متأخرًا عن الوقوع في الحب. تأخر في تكوين أسرة. تأخر في تصحيح أخطائه. تأخر في أن يصبح ما وعد أن يكون. تأخر في أن يكون أبًا. تأخر في أن يكون ابنًا. يعيش أوسكار داخل تلك الساعة الرملية التي تتباطأ، بالكاد تقطر. كل خطوة يخطوها تبدو كمن يركض خلف قطار ضائع منذ عشرين عامًا. يمر القطار مرة، مرتين على الأكثر. العربة الأخيرة.

لهذا السبب يؤلمك الفيلم ويقلقك إلى حد الإنهاك. إنهاك يجعلك تتعاطف مع أوسكار في كل لحظة.

لأنه يتحدث عن الشعر، نعم، ولكنه يتحدث أيضًا عن كل أولئك الذين بنوا هويتهم حول حلم وانتهى بهم المطاف حراسًا لحطامهم. الخراب كمعبد شعري. الفقدان ككاتدرائية جحيم حي.

عادةً ما يزخر السينما المعاصرة بشخصيات تتعلم شيئًا ما. تتطور. تجد شكلًا من أشكال الخلاص. أما أوسكار، من ناحية أخرى، فيتجه نحو وضوح مدمر. يدرك أن العالم سيستمر في العمل بشكل مثالي بدونه. أن الشارع سيظل يوفر المأوى بدونه، وأن البحر سيظل هديره الأبدي. أن المهرجانات ستستمر. أن شعراء جدد سيظهرون. أن الثقافة ستستمر في إنتاج مشاهيرها من الدرجة الثانية. حتى الشعر يمكنه البقاء بدون شعراء. وبدون شاعرات.

وفي هذا يكمن جوهر "شاعر"، فالشعر يموت في الأمسيات والجوائز، في المؤسسات الثقافية التي تحاول إدارته كما لو كان مجرد إجراء بيروقراطي شكلي. بيروقراطية الضباب والريح. بيروقراطية الجمال. في أولئك الذين يستخدمون المعاناة كدليل فني لبناء سقالة من الألم. الشعر يبقى في شيء أكثر هشاشة. إنه ينهض ويسير في عناد بعض الناس الذين يستمرون في رؤية العالم بشكل مختلف حتى عندما يُظهر لهم كل شيء أن هذه النظرة عديمة الجدوى.

في بعض الأحيان، يبدو "شاعر" وكأنه كوميديا سوداء. لكنه يتحول حقًا إلى مأساة صامتة، وفي النهاية، يبقى معلقًا في مكان أكثر إزعاجًا: مكان حياة لا تصل إلى أي مكان ومع ذلك تستمر. وتنتهي القصة نهايةً مأساوية، كما هو حال المآسي. لا شيء يُحسم، لا مسألة أبوته ولا علاقته بالشعر.

يشبه هذا العمل البارع سينما المخرج السينمائي وكاتب السيناريو الإيراني عباس كيارستمي (1940-2016) إلى حد كبير، وذلك لتقاربه الأخلاقي في رفض الخطابة الرنانة، واعتماده على البساطة، وإيمانه بأن الحقيقة لا تُفرض، بل تتجلى من خلال الشقوق. وكما في أعمال كيارستمي، تُبنى الحياة حول الأنفاس؛ من خلال شخصيات لم تُصمم لتمثيل فكرة، بل لتوجد بهشاشتها الكامنة.

في الوقت نفسه، يتماشى الفيلم مع تقاليد الواقعية الاجتماعية الكولومبية التي تُدرك الحميمية كحقل سياسي. هنا، لا يُعدّ فشل الشاعر مجرد حكاية فردية، بل وسيلة لكشف الهشاشة البنيوية التي تتغلغل في الفن والتعليم والكرامة، في سياقٍ غالبًا ما يكون فيه الإبداع ترفًا بلا ضمانات. يبرز الشعر، متخليًا عن أي فكرة للخلاص، ويُقدّم لنا كوسيلة للصمود حتى عندما يفقد العالم معناه. لقد تحطمت المرآة.

في هذا التوتر - بين السخرية والحنان، بين الملاحظة والانهيار - يجد الفيلم مكانةً سامية، مكانة سينما لا تُفسّر الواقع تفسيرًا كاملًا، بل تُبقيه حيًا للحظةٍ أخيرة قبل أن ينهار تمامًا.

لعلّ هذا هو سبب كونه أحد أعظم أفلام أمريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة. لأنه صادق. لأنه لا يبحث عن أبطال. أو عباقرة. أو شهداء ثقافيين. منذ اللحظة الأولى، يعثر الفيلم على رجل محطم، ويتركه يتحدث، ويتبعه لساعتين على أطراف المدينة، وعندما ينتهي، ينتابك شعور بأنك شاهدت شيئًا نادرًا للغاية في السينما المعاصرة. وهذا الشيء الغريب هو ما يُسمى سينما. فيلم يجرؤ على مواجهة الفشل والأحباط، مدركًا أنه سيتلقى ضربة قوية. ويكتشف أن في تلك الضربة يكمن نوع من الجمال. إن شئتم.

***

سرديات

الإنسان المقتلع بين الذاكرة والهوية:
قراءة نقدية في رواية «عمي جمشيد خان» لبختيار علي

مثال سليمان

رواية "عمي جمشيد خان الذي تعصف به الريح " الصادرة بترجمتها العربية عن دار خان للنشر والتوزيع سنة 2019، للروائي الكردي بختيار علي، يمكن اعتبارها واحدة من أبرز أعماله السردية التي تمزج بين الواقعية الأسطورية والتأمل الفلسفي، وتُحوّل الحكاية الفردية إلى تمثيل رمزي لتجربة إنسانية وجمعية شديدة التعقيد. الرواية تنطلق من واقعة غرائبية تتمثل في قدرة جمشيد على التحليق بفعل خفة جسده، لكنها سرعان ما تتجاوز حدود العجائبي لتطرح أسئلة عميقة حول الهوية والذاكرة والانتماء ومصير الإنسان في مواجهة العنف التاريخي.

منذ المشاهد الأولى يظهر جمشيد بوصفه شخصية لا نعلم إن كانت قد خرجت أم هربت من المعتقل محمّلة بآثار تجربة قاسية تجاوزت حدود الإيذاء الجسدي إلى مستويات أكثر عمقاً تتصل ببنية الذات نفسها. فقد غدا خفيفاً إلى درجة تستطيع الريح حمله بعيداً، وهي صورة تتخذ دلالة رمزية كثيفة تعكس حالة التآكل الداخلي التي تصيب الإنسان تحت وطأة القمع. فالجسد الذي يتحول إلى مرآة للخراب النفسي والوجودي ويغدو فقدان الثقل تعبيراً عن فقدان الرسوخ في العالم وعن تصدع العلاقة بين الإنسان وذاته.

ومن هذا المنطلق يكتسب الطيران معناه المركزي في الرواية "قلب الرواية ". فبدلاً من ارتباطه التقليدي بالحرية والانعتاق، يتحول إلى علامة على الاقتلاع وفقدان الجذور. جمشيد خان لا يتحكم بمسار تحليقه، وإنما تدفعه الرياح إلى أمكنة ومصائر متباعدة، فيصبح أسيراً لحركة مستمرة تفتقر إلى الغاية والاستقرار. ومن خلال هذه الصورة ينجح بختيار علي في تحويل القدرة الخارقة إلى تجسيد درامي لحالة المنفى الدائم التي عاشها شعب وأفراد وجدوا أنفسهم تحت تأثير قوى تاريخية تتجاوز إرادتهم.

[انضمامه إلى الحزب الشيوعي في الحقيقة لم تكن قناعاته وإيمانه بالحرية والعدالة الاجتماعية إنما كان دافعه هو إيجاد مجتمع يستطيع فيه الإنسان أن يحب بطريقة أسهل مجتمع تتحرر فيه العلاقات بين الشباب والفتيات وتكون المراقبة عليهم أقل وأخف] صـ 4

وتبرز الريح بوصفها الرمز الأكثر حضوراً في البناء الدلالي للرواية. فالعنوان ذاته يمنحها موقعاً مركزياً، إذ تتقدم بوصفها الفاعل الحقيقي في تشكيل مصير الشخصية.
[لا أحد يعلم بالضبط في أي يوم عصفت الريح بجمشيد، فقط يحكى بأن طيرانه الأول بدأ من معتقل في مدينة كركوك.] صـ6
[لكن يبدو أن ريحاً قوية وعاصفة قد هبت فجأة وما كان منها إلا أن رفعت جمشيد أول مرة عن الأرض.]

تمثل الريح في هذا السياق التاريخ العنيف بكل تجلياته؛ الحروب، الأنظمة الاستبدادية، الهجرات القسرية والتحولات السياسية الكبرى التي تعيد رسم حياة البشر وفق منطقها الخاص. لذلك تتجاوز رحلة جمشيد حدود التجربة الفردية لتصبح صورة رمزية لمصير جماعي عاشه الإنسان الكردي في القرن العشرين، بكل ما رافقه من اقتلاع وتشرد وانكسارات متلاحقة، الكردي المتطلع إلى الحرية على الدوام.

وتحتل الذاكرة مكانة محورية في تطور الأحداث وفي بناء الرؤية الفكرية للنص. فكل سقوط يتعرض له جمشيد يقترن بفقدان جزء من ذاكرته، في توازٍ دقيق بين السقوط الجسدي والتآكل الوجودي.
[في كل مرة يسقط فيها عمي جمشيد، ينسى شيئاً عظيماً من ذاكرته]

تكشف هذه العلاقة عن وعي سردي عميق بأهمية الذاكرة في تشكيل الهوية الإنسانية؛ إذ تبدو الشخصية وكأنها تفقد أجزاءً من ذاتها كلما فقدت جزءاً من ماضيها. ومع ذلك يحتفظ جمشيد باسمه وانتمائه الكردي رغم تراجع تفاصيل حياته الأخرى، الأمر الذي يمنح الرواية بعداً فلسفياً يتصل بطبيعة الهوية وحدود ارتباطها بالذاكرة. فثمة عناصر أكثر رسوخاً من الذكريات الفردية، وأكثر قدرة على مقاومة النسيان والتشظي.
[أسمي جمشيد وأنا كردي]

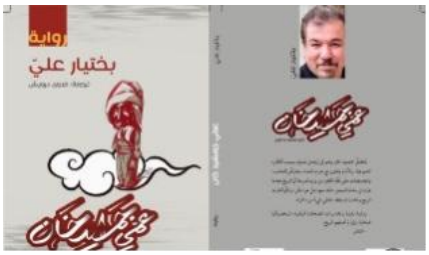

وفي موازاة ذلك، ترصد الرواية آليات الاستغلال التي تحكم العلاقات الإنسانية في عالم مضطرب. فجميع القوى المحيطة بجمشيد تكاد تنظر إليه من زاوية المنفعة: الحكومات توظف قدرته خلال الحرب الدائرة بين العراق وإيران طيلة ثماني سنوات، من ثم ترك جمشيد عالم الرجال والتوجه نحو عالم النساء وعشقه لصافيناز التي كانت بالنسبة له وعداً بحياة جديدة، العلاقة التي تحولت إلى وسيلة للهيمنة والكسب وكيف أن الكاتب استبق الحدث بعلامة كنذيرٍ سردي وضعها للقارئ حينما يزين جمشيد جدران غرفته بلوحات "العشاق المخادعين". تليها السلطة الدينية التي تستثمر ملكته وتستغله من خلال شخص الشيخ قاسم الذي يلقنه خطابات دينية غرائبية لغايات غير أخلاقية بعدما يزعم جمشيد أنه رأى الرب في السماء وأنه مكلفٌ بنشر رسالة الإسلام بين الناس، لكن تأزم الحالة الدينية آنذاك تحول دون تحقيق ماكان يصبو إليه جمشيد الذي تتحول ملكة الطيران لديه إلى نقمة عليه، فيسقط جريحاً وينسى اسم الرب.

يسقط لاحقاً بين مجموعات تابعة ل PKK/ كيريلا المختبئة في الكهوف المحفورة في الجبال، يُظهر بختيار هنا نوعاً من الرومانسية التي تميل إلى الحل السياسي وكأنّه يخبرنا أن السياسة أفضل الحلول، حيث يستفيد من جمشيد كذلك تلك المجموعات في مراقبة تحركات القوات التركية والجحوش (القرويين المتواطئين مع الأتراك) ولكن بعد تدهور حالته الصحية، تحرص المجموعة على الحفاظ على صحته وتسليمه لأهله ..

ترجمة من الكردية: فدوى درويش
مراجعة: رفعت فرج

تتمة ص التالية

الإنسان المقتلع بين الذاكرة والهوية:

[هل أنا فعلاً أصبحت كالقشة في مهب الريح!؟]

وتزداد أهمية هذا البعد عندما تجعل الرواية جمشيد نفسه جزءاً من منظومة الاستغلال خلال مرحلة تهريب البشر في إسطنبول. وهنا تتخلى الرواية عن التصنيفات الأخلاقية الجامدة، لتقدم رؤية أكثر تعقيداً للطبيعة البشرية، حيث يمكن للضحية أن تعيد إنتاج أنماط العنف التي تعرضت لها تحت ضغط الحاجة والظروف التاريخية.

ومن الرموز اللافتة في الرواية صورة الحبل الذي يربط جمشيد بالأرض كي تحميه أسرته من الريح.

[كانت تلك الحبال هي الوسيلة الوحيدة التي تربطنا مع جمشيد ومن خلالها نرصد خفقان قلبه] صـ35

[ولكن مع الوقت لم يعد الحبل الذي يربطنا مع جمشيد مجرد حبل ميت لا روح فيه بل صار قناة حقيقية لنقل الأحاسيس والمخاوف والأمنيات أيضاً. إذا ما نمنا في الأسفل، كان جمشيد يشعر بنا من طريقة إمساكنا الحبل فيلجأ إلى الشد والإرخاء إلى أن نصحو.] صـ38

وهكذا يتجاوز الحبل وظيفته العملية ليغدو رمزاً لكل ما يمنح الإنسان شعوراً بالثبات والاستمرارية: العائلة، واللغة، والذاكرة، والصداقة، والانتماء المكاني والثقافي. لذلك تكتسب شخصية سالار أهمية خاصة ضمن هذا السياق، إذ يؤدي دور الرابط الإنساني الأكثر ثباتاً في حياة جمشيد. فوجوده المستمر إلى جانب عمه يمنح الرواية بعداً عاطفياً وإنسانياً ويجسد محاولة دائمة لإنقاذ الذات من التلاشي الكامل.

تتجلى إحدى أهم مفارقات الرواية في التحول التدريجي لمعنى الطيران. ففي البداية يبدو امتيازاً استثنائياً يثير الدهشة وربما الحسد، ثم ينكشف مع الزمن بوصفه عبئاً وجودياً ثقيلاً. وبعد عقود من التشرد وفقدان الذاكرة والتعرض المتكرر للاستغلال، تتجه رغبة جمشيد نحو شيء بالغ البساطة: البقاء على الأرض. ومن خلال هذه المفارقة يعيد بختيار علي تعريف مفهوم الحرية؛ فالحرية الحقيقية ترتبط بإمكانية الاستقرار والانتماء أكثر من ارتباطها بتجاوز الحدود المكانية أو امتلاك قدرات استثنائية. وتتحول الأرض في النهاية إلى رمز للهوية والمعنى والطمأنينة، وإلى الغاية التي ظل البطل يبحث عنها طوال رحلته المضنية.

وتبلغ الرواية ذروتها الرمزية حين يتحول جمشيد إلى كائن معروض داخل قفص للفرجة. فهذه اللحظة تمثل حصيلة مسار طويل من التجريد المتواصل، بدأ بسلب الحرية، ومرّ بتآكل الذاكرة، وانتهى إلى المساس بالكرامة الإنسانية ذاتها. غير أن النهاية تترك مساحة للأمل عبر محاولة استعادة الحياة الطبيعية والعلاج واسترجاع شيء من التوازن المفقود، بما يوحي بإمكانية ترميم الذات رغم حجم الخراب الذي أصابها.

في المحصلة، تقدم رواية عمي جمشيد خان الذي تعصف به الريح والمتسمة بشيء من الكافكوية، رؤية أدبية وفلسفية عميقة لمصير الإنسان في زمن القمع والحروب والمنفى. ومن خلال منظومة رمزية متقنة تجمع بين الواقعي والأسطوري، ينجح بختيار علي في بناء نص تتقاطع فيه أسئلة الهوية والذاكرة والحرية والانتماء. وتتحول الريح إلى صورة للتاريخ حين يقتلع البشر من جذورهم، بينما يغدو الطيران استعارة للتيه الوجودي، وتصبح الأرض رمزاً للمعنى الذي يظل الإنسان يسعى إلى استعادته مهما ابتعد عنه. ولهذا تظل الرواية، في جوهرها، حكاية إنسان فقد مكانه في العالم وظل يبحث عن سبيل يعود به إلى ذاته.

ويبقى في ذهن القارئ السؤال:
هل طار جمشيد فعلاً ؟
وسؤالٌ آخر أكثر قسوة:
كم مرة يمكن للمرء أن يُقتلع من نفسه... قبل أن ينسى من وماذا كان!؟

* النسخة الالكترونية- 2019
147 صفحة

في رواية عمي جمشيد خان ؛ الذي تعصف به الريح للروائي الكردي بختيار علي، تتجسد مأساة الاقتلاع الوجودي. يُصوّر الكاتب المعتقل السياسي الذي تطيره الريح فيقتلع من أرضه، لتغدو الذاكرة مهددة بالزوال والهوية عرضة للتبدد في مهب عواصف التاريخ والقمع.

من أثينا إلى بغداد: صورة جوهر الممارسة الديمقراطية

منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام، وضع الإغريق اللبنات الأولى لفكرة المشاركة الشعبية في الحكم، حين ابتكروا ما يُعرف اليوم بالديمقراطية. كانت مدينة أثينا آنذاك نموذجًا فريدًا في ممارسة السياسة، إذ اجتمع المواطنون الأحرار في الساحات العامة يناقشون القوانين ويقررون مصير مدينتهم بأنفسهم. لم تكن هناك أحزاب سياسية أو برلمانات، بل كانت الكلمة العليا للشعب الذي يمارس سلطته مباشرة، في صورة بسيطة لكنها ثورية في زمنها.

غير أن تلك الديمقراطية الأثينية، رغم ريادتها، لم تكن شاملة؛ فقد اقتصر حق المشاركة السياسية على الذكور الأحرار، بينما استُبعدت النساء والعبيد والأجانب من الحياة العامة. ومع ذلك، فقد كانت التجربة الإغريقية منطلقًا لتطوّر الفكر السياسي والفلسفي في العالم، وأسهمت في ظهور مفاهيم العدالة والمواطنة والمسؤولية الجماعية التي ما زالت تشكل جوهر الأنظمة الديمقراطية الحديثة.

وفي المقابل، نجد أن **العراق اليوم** يعيش تجربة سياسية مختلفة تمامًا في الشكل والمضمون، وإن كانت تنطلق من ذات المبدأ: سلطة الشعب. فمنذ إقرار الدستور العراقي عام 2005، جرى الحديث على أن النظام السياسي في البلاد ''**ديمقراطيًا نيابيًا**'' يعتمد على الانتخابات الدورية وتعدد الأحزاب والفصل بين السلطات. لم يعد المواطن يشارك بشكل مباشر في سنّ القوانين، بل يفوض ممثليه في البرلمان ليعبّروا عن إرادته ويشرّعوا باسمه.

لكن الفارق الجوهري بين التجربتين يكمن في **تعقيد الدولة الحديثة** مقارنة بالمدينة الإغريقية الصغيرة. فالممارسة السياسية في العراق اليوم تتأثر بعوامل عدة؛ منها التنوع العرقي والديني، والتحديات الأمنية، والتجاذبات الحزبية، إلى جانب تطور وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي التي أصبحت ساحة جديدة للصراع السياسي والتعبير الشعبي.

وإذا كانت أثينا القديمة قد أرست أسس النقاش الحر والمساءلة المباشرة، فإن العراق يسعى إلى ترسيخ المحاصصة التوافقية التي مازالت تتأثر بالأيديولوجيات والأفكار الدينية والعرقية بعيدا عن مبدأ المساءلة واحترام القانون..

***

مراجعات فكرية

مراجعة كتاب: « المثالية الألمانية » بقلم فريدريك سي. بايزر....

(2)

شعوب الجبوري

ت: من الألمانية أكد الجبوري

فإن هذا النوع من المثالية يرتبط أيضًا بنوع معين من النزعة الطبيعية المتجذرة في رؤية الرومانسيين بأن المطلق "ليس أقل من الطبيعة بأكملها"()، حيث تُفهم الطبيعة على أنها نوع من الكل العضوي. ويؤكد بايزر أن النزعة الطبيعية للمثالية المطلقة ليست مجرد نزعة طبيعية تجريبية "تفسر كل شيء في العالم الظاهري وفقًا للقوانين الطبيعية، لكنها تترك العالم الظاهراتي دون تغيير. بل إنها تؤكد أنه يمكننا تفسير ليس فقط الوعي التجريبي، بل الوعي الذاتي المتعالي أيضًا، وفقًا لمكانته في الطبيعة"(). لذا، فبدلًا من أن تحبسنا المثالية المطلقة في ذات معزولة ومنفصلة عن العالم، فإنها تُظهر لنا أنها تُدخلنا في العالم، دون فواصل واضحة بين الذوات والموضوعات، حيث يُنظر إلى كل شيء على أنه جزء من كل حي نابض بالحياة، هو الطبيعة.

كما يصحح بايزر صورة المثالية المطلقة للرومانسيين باعتبارها نوعًا من التأسيسية الجديدة - في هذه النقطة، هو في صحبة جيدة من كبار علماء الرومانسية الألمان، الفيلسوف الألماني ديتر هاينريش (1927-2022)() والفيلسوف الألماني مانفريد فرانك (1945-)()، الذين قاموا كل منهم بعمل على الطلاب الأوائل لـ ك.ل. راينهولد(1757-1823)() (إل.ب. إرهارد، سي.آي. ديز، إف. فايسهون، سي.سي.إي. شميد، إف.سي. فوربيرغ، جيه.آر.إي. فويرباخ، وإف.آي. نيتهامر، من بين آخرين)() وتتبعوا بعناية تطور الشك الرومانسي فيما يتعلق بجدوى وضع مبادئ أولية للفلسفة. مع ذلك، ورغم الاتفاق علـــى أن مناهضة التأسيسية عنصرٌ أساسي في الفكر الفلسفي للرومانسيين الألمان الأوائل، إلا أن هناك نقطة خلاف حادة بين توصيف فرانك وهنريش للرومانسيين الألمان الأوائل، من جهة، وتوصيف بيزر، من جهة أخرى.

فمثلاً، يجادل فرانك بأن مناهضة التأسيسية التي تطورت في الفترة ما بعد الكانطية للفلسفة الألمانية هي تحديداً ما يميز شخصيات مثل الفيلسوف وعالم الأنثروبولوجيا الألماني لودفيج فويرباخ (1804-1872)() ونيثام والرومانسيين الأوائل عن مجموعة المثاليين الألمان، مثل فيخته وشيلينغ. ويرسم فرانك خطاً فاصلاً واضحاً بين الرومانسية الألمانية المبكرة والمثالية الألمانية. يرجع فرانك النزعة المثالية إلى صياغة هيغل لها، حيث يرى أن الوعي ظاهرة مكتفية بذاتها، قادرة على جعل افتراضات وجودها مفهومة بوسائلها الخاصة. ويقارن فرانك هذا النوع من المثالية، وما يصاحبه من نظرة إلى اكتفاء الوعي بذاته، بالقناعة التي ميزت الرومانسيين الألمان الأوائل، وهي أن الوجود الذاتي يدين بوجوده إلى أساس متعالٍ لا يمكن للوعي أن يمحوه. ويربط فرانك هذه النظرة إلى أولوية الوجود بالموقف الرومانسي القائل بأن الأساس الحقيقي للوجود الذاتي لغز لا يمكن حله بالتأمل وحده: لحل هذا اللغز، نحتاج إلى اللجوء إلى الفن.

يشير بيزر إلى التوترات بين قراءته المثالية للرومانسيين وقراءة فرانك وهنريش المناهضة للمثالية، موضحًا أن تمييز فرانك وهنريش الحاد بين المثالية الألمانية والرومانسية الألمانية المبكرة هو نتيجة "تفسير ضيق للغاية"() نابع من التركيز المفرط على عدد قليل من المخطوطات المبكرة. ويزعم بيزر أن أحد أوجه القصور الخطيرة لهذا التركيز هو "التقليل من شأن التراث الأفلاطوني لهولدرلين ونوفلي وشيلج"(). وبالنظر إلى ادعاء بيزر بأن"البُعد المثالي للمثالية المطلقة ينبع من عقلانيتها"()، وهي عقلانية مُفصَّلة بمصطلحات أفلاطونية، نبدأ في إدراك جانب من التراث الأفلاطوني الذي يجدر بنا أخذه في الاعتبار. يشير بيزر أيضًا إلى النهضة الأفلاطونية التي سادت في أواخر تسعينيات القـرن الثامـــن عشر وأوائل

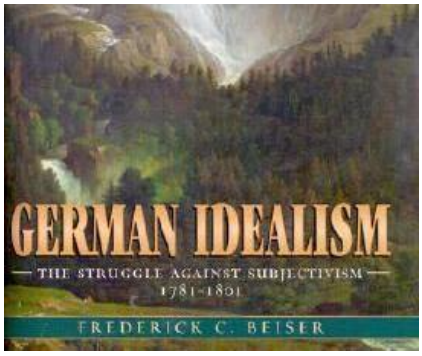

القرن التاسع عشر في البلدان الناطقة بالألمانية، وهي نهضة أثرت بالفعل في الرومانسيين الأوائل. ليس من المستغرب، عندما يناقش بيزر الرومانسيين الألمان الأوائل في الجزء الثالث من دراسته، أن يكون أحد محاوره الرئيسية هو الإرث الأفلاطوني الذي أرشد هؤلاء المفكرين().

يولي تحليل بايزر للفلسفة الرومانسية، بوصفها نوعًا من المثالية المطلقة، اهتمامًا جادًا بجذورها عند سبينوزا وبالنزعات الطبيعية القوية التي تتخللها. بما أن بايزر يدّعي أيضًا أن "المثالية المطلقة تنطوي على قدر أكبر من الواقعية مقارنةً بالمثالية النقدية"()، يبدأ المرء برؤية قراءة واقعية قوية لمثالية الرومانسيين. وفقًا لقراءة بايزر الواقعية القوية للمثالية، متى تتوقف المثالية عن كونها مثالية وتصبح مزيجًا غريبًا من الواقعية والمثالية، وهو مزيج رومانسي فريد؟ أي، هل يمكننا بسهولة رفض رأي فرانك القائل بأن الرومانسية الألمانية المبكرة ليست في الواقع شكلًا من أشكال المثالية الألمانية على الإطلاق؟

يحمّل بايزر المثالية المطلقة التي يدّعي أنها تميز الرومانسيين الشباب بجرعة كبيرة من سبينوزا وأفلاطونية ومادية حيوية. يثبت الارتباط بالمادية الحيوية، التي اعتقد أنصارها أن جوهر المادة هو القوة وليس الامتداد، أنه أمر بالغ الأهمية للوصول إلى فهم كامل للمفهوم الرومانسي للطبيعة، وهو جانب حاسم من مشروعهم الفلسفي.() تستوعب رواية بايزر بشكل جيد المواضيع المركزية التي اهتم بها الرومانسيون الألمان

تتمة ص التالية

الأوائل، وخاصةً دور التجربة الجمالية في إطارهم العام لفهم الواقع ونظرية التماسك في الحقيقة التي تبنّوها.

يشير بايزر إلى أن الادعاءات الميتافيزيقية للمثالية المطلقة، بالنسبة للرومانسيين الألمان الأوائل، كانت تجعل من اعتبار الطبيعة كائنًا حيًا وعملًا فنيًا وجهًا لوجه: "الكون ليس أقل من عمل فني طبيعي، والعمل الفني ليس أقل من كائن حي اصطناعي. ومن ثم، فإن عالمي الحقيقة والجمال، الطبيعي والجمالي، يتطابقان"(). وفي هذا السياق، الذي يتناول العلاقة الوثيقة بين الحقيقة والجمال والعالم، يحيلنا بيزر إلى وصف فريدريك شليغل للموقف العام للمثالية: "تعتبر المثالية الطبيعة عملًا فنيًا، قصيدة"(). إن قراءة بيزر للرومانسيين الألمان الأوائل بوصفهم مثاليين مطلقين، والتي تتعارض مع آراء فرانك، لا تُضلله في الغالب في تفسيره للتيارات الرئيسية للفكر الرومانسي الألماني المبكر. ومع ذلك، ثمة جانب من حجته يبدو أنه ينطوي على رؤية مشوهة نوعًا ما للرومانسيين الأوائل.

أحد أسباب إهمال رواد الرومانسية الألمانية الأوائل لفترة طويلة هو قراءة أعمالهم كجزء من تراث المثالية الألمانية الكلاسيكية، وفي سياق الحديث عن بناة الأنظمة الكبرى مثل فيخته وشيلينغ وهيغل، غالبًا ما تُرفض أعمالهم، التي لم تُصمم بهدف تحقيق أي أهداف نظرية شاملة، باعتبارها ناقصة وغير مهمة. إن حجة فرانك القوية والمقنعة ضد اعتبار الرومانسيين مثاليين على الإطلاق هي جزء من جهد لتحريرهم من الظلال القاتمة التي ألقاها عليهم بناة الأنظمة الكبرى للمثالية الألمانية الكلاسيكية. في المقابل، يجادل بيزر بأنه لا يمكننا فهم الأهمية التاريخية لرواد الرومانسية الألمانية الأوائل إلا إذا فهمنا مثاليتهم المطلقة، وبالتالي قرأناهم كمثاليين ألمان. يتمثل حل بيزر لمشكلة الإهمال التي أعاقت استقبالًا لائقًا للرومانسيين الألمان الأوائل في تقديمهم كجزء من كوكبة المثالية الألمانية الكلاسيكية (مع الأخذ في الاعتبار أن بايزر يصرح صراحةً بأن عمله "لا يدّعي أنه مساهمة فيما يسميه الألمان. عمل الكوكبة"().

ويُظهر تصوير بيزر للرومانسيين الألمان الأوائل بوضوح أنهم لم يكونوا مثاليين ذاتيين، كما يُبرز بشكل مقنع الجرعات القوية من الواقعية والطبيعية الموجودة في فكرهم. وفي إعادة تقييمه للدور الذي لعبه بناة الأنظمة الكبرى في المثالية الألمانية، يحثنا بيزر على أن نتذكر أن "هيجل بالغ في وصف أصالته وتفرده"()، وأن العديد من أفكاره يمكن إرجاعها إلى أسلافه في بينا، الذين تم تجاهل أعمالهم لفترة طويلة جدًا. هذه الخطوة تفسح المجال لظهور إسهامات الرومانسيين الألمان الأوائل.

ومع ذلك، على الرغم من كل عمله الدقيق في التنقيب، إلا أن هناك شيئًا مثيرًا للقلق بشأن اقتراح بيزر بأن استخدام الرومانسيين الألمان الأوائل للقطعة كان جزءًا من طريقة غير منظمة لعرض أفكارهم؛ فقد افتقرت القطع إلى المنهجية والكمال اللذين سيوفرهما أمثال شيلينغ أو هيغل: "ما كان مجرد قطعي وغير مكتمل وموحٍ في هولدرلين ونوفاليس وشليغل أصبح منهجيًا ومنظمًا وصريحًا في شيلينغ"() و"ما تركه هولدرلين وشليغل ونوفاليس ... في قطع - ما اعتبروه بصيرة صوفية تتجاوز التعبير المفاهيمي - سيحاول شيلينغ الآن ترشيده وتنظيمه"(). على الرغم من أن الدراسة تسعى إلى إفساح المجال في خريطة الأفكار للمفكرين الذين همّشهم هيغل، يدّعي بيزر أن هيغل "بأسلوب لا يُضاهى، لخص ودمج في نظام واحد جميع المواضيع التي تركها معاصروه الأقلّ تنظيمًا ودراسةً في شذرات أو دفاتر"(). بمثل هذه الادعاءات، يُقلّل بيزر من شأن الأهمية الفلسفية للشذرات، بل ومن شأن فكرة النقص التي طوّرها الرومانسيون في أعمالهم.

مع أن بايزر يُحرّر السماء التاريخية من الظلّ القاتم الذي ألقاه هيغل على المثالية الألمانية، ويُلقي بذلك ضوءًا ضروريًا على الرومانسيين الألمان الأوائل، إلا أن قراءته تبدو، في بعض الأحيان، مُوجّهة بعدسة بناة الأنظمة المثالية الألمانية الكلاسيكية، مما يدفعه إلى اختزال بعض إنجازات الرومانسيين، بما في ذلك رفضهم للأنظمة المغلقة لعرض أفكارهم، إلى مجرد أشكال ناقصة تنتظر إكمالها على يد بناة أنظمة مثل شيلينغ وهيغل. كما يُشير بيزر بحق، فقد"كان لدى نوفاليس طموحات منهجية "()، إلا أنـــــه يُغفل حقيقة أن مفهوم نوفاليس للنظام كان مختلفًا تمامًا عن مفهومي شيلينغ وهيغل. إن سعي نوفاليس لدمج الواقعية والمثالية، وهو سعي ناقشه بيزر ()، يطرح أمامنا إشكاليات فلسفية معقدة. السؤال الأول الذي يجب الإجابة عليه هو: ما الذي آل إليه دمج نوفاليس للواقعية والمثالية؟ يجيب بايزر بأنه بلغ حد المثالية المطلقة. أُقدّم تحذيرًا مبدئيًا مفاده أننا ربما نكون في وضع أفضل لفهم رواد الرومانسية الألمانية الأوائل على حقيقتهم، لو أننا فككنا هذا المزيج الرومانسي الفريد بين الواقعية والمثالية بطريقةٍ لا تختزل إسهاماتهم إلى أعمالٍ غير مكتملة بلغت ذروتها في أنظمة شيلينغ وهيغل، أي لو لم تكن شبكة البحث التي نلقيها لفهم أفكارهم مكتظةً ببُناة الأنظمة. ارتبط الطموح الرومانسي لدمج المثالية والواقعية برفضهم فهم الواقع من منظور فئات الوجود، وتوجههم نحو عمليات الصيرورة، وبالمشكلات الأنطولوجية والمعرفية التي تصاحب هذا التحول في التركيز.

الخلاصة. وبأختصار. إن قراءة بايزر لرواد الرومانسية الألمانية الأوائل بوصفهم مثاليين مطلقين يُناضلون ضد الذاتية تُلقي ضوءًا جديدًا على صلات الرومانسيين بمثالية كانط وفيخته، وعلى انتقاداتهم لها. تختتم دراسة بيزر الرائعة لنضال المثالية الألمانية ضد الذاتية (1781-1801) بسردٍ مفصلٍ لدور شيلينغ المحوري في تطور المثالية المطلقة، ولا سيما قطيعته مع فيخته ومساهماته الهامة في فلسفة الطبيعة. تكشف دراسة بايزر عن الأسس الأفلاطونية للمثالية الألمانية، مما يفسح المجال لقراءة واقعية للمثالية. أخيرا. علاوة على ذلك، قد نختلف أو نتفق مع قراءة بايزر للرومانسيين باعتبارهم مثاليين مطلقين، إلا أنه يُفتح نقاش جديد حول علاقة الرومانسيين الألمان الأوائل بالمثالية الألمانية الكلاسيكية، وهذ هو ديدن التواصل المعرفي النقدي. هو انفتاح على نوع النقاش الذي يُبقي الاهتمام الفلسفي بالفترات التاريخية الماضية حيًا ومزدهرًا. سيستفيد أي شخص مهتم بفترة الفلسفة الألمانية من 1781 إلى 1801 استفادةً عظيمة من دراسة متأنية لعمل بايزر.

- نوصي بالاطلاع على الكتاب. لأهميته الفلسفية. وما يمنحه من فسحة تتجلى في التأملات المعرفية المقارنة. والنافعة بالنسبة للقارئ - الباحث.

"مسرحية اللامعقول برداء الواقعية الرمزية" (1)

«طقوس.. بين شعرية الإداء وجماليات المعالم المسرحية»

*من أجل تسليط الضوء على مبدعينا العراقيين من جهة وعلى تجاربيهم الإبداعية المميزة وتفعيل ديمومة العطاء ونتائج استمرارية الفعل الإبداعي.. ومن أجل تقديم التقويم النقدي الذي يُعلي من شأن التجربة ويبيّن مفردات التطور والنمو ومن أجل المساهمة النظرية التحليلية في قراءة ملامح المدارس الإبداعية المسرحية تحديدا هنا، ووضعها في مكانها ومكانتها الفكرية والجمالية المناسبة أقدِّم هذه المداخلة البحثية للقراء والمهتمين والمتخصصين... شاكرا للجميع دورهم في إبداء الرأي والتفاعل العلمي والفني الجمالي بالخصوص...

وحشية هي تلك العوالم التي نحياها بغير جماليات حتى لو كانت جماليات "القبح" التي ندرسها في بعض اتجاهات الشعر الاحتجاجية أو الصور المسرحية المتمردة الجديدتين...
وها نحن نبحر اليوم في سفائن الأدب والفن يجتمعان في جمالية نص جديد يستولد لنفسه خصوصية التعبير من اعتمادِ لشعريةِ في أداء خطابه اللغوي وتعميدِ لجمالية في أداء خطابه المسرحي البصري.

المسرحية بين أيدينا هي "طقوس وحشية" وكاتبها هو العنيد في تمرده وروحه المسرحي المجدِّد المسرحي الأكاديمي قاسم مطرود وهو صاحب للروح نوافذ أخرى ورثاء الفجر والجرافات لا تعرف الحزن، هذه وغيرها نصوص مسرحية أخذت مكانتها وحملت تشخيصها المذهبي لا من انتماء قسري أو إلحاق وتبعية تلتزم شروط مدرسة أو اتجاه بقدر ما كان لها من هويتها المخصوصة عطاؤها ومحدداتها...

وللولوج إلى عوالم السيد مطرود و"طقوسه الوحشية" ينبغي أن نستعيد عددا من معطيات الخلفية الفلسفية لاتجاه التمرد والاحتجاج في المسرح الحديث حيث الغضب والاحتجاج والقسوة وحيث اللامعقول أو العبث [ABSURD]اصطلاحا معبّرا عن اتجاه مسرحي كان مطواعا تعبيريا لحالات الإحباط بمجابهة المصير البشري والشعور بعبثية الفعل الإنساني أمام مصيره المحتوم بأساه وتراجيدياه الأزلية الأبدية!

فمنذ حدود القرن العشرين بداية ومنتهى، كانت الحروب الكونية والانقسامات الداخلية ومن ثمَّ الحروب الأهلية وتلك الإقليمية المهولة تفتك بحقوق الإنسان وكامل وجوده وبتمام تفاصيله؛ ولقد كانت تلك المشاهد المأساوية تسطو على العلاقات البشرية وتهيمن على الذاكرة الجمعية والفردية ضاغطة عليها حدَّ السحق!

الراحل ـ الكاتب قاسم مطرود

ولقد نجم عن هذه الأجواء في إطار المنتج الثقافي والجمالي عدد من أشكال التعبير الأدبي والفني ومدارسهما الجمالية المستندة إلى تيارات فكرية وفلسفية وعقائد أيديولوجية اجتاحت مجتمع القرن العشرين وهيَّأت لأجواء الألفية الثالثة التي نحياها اليوم..

وكان من ذلك سريالية صورة الحياة وعبثيتها أو لا معقولها؛ فإيقاع التخريب والتدمير والضغط المتناهي المهول بالتأكيد خلق ويخلق اللاتناغم في إيقاع الحياة وموسيقاها أو امتناع الانسجام مع المنطق العقلي ورفض التناسق والتناسب كونهما قيمتين جماليتين يجري سحقهما أو تجاوزهما على صعيدي البنية ومضامينها..

أ.د.تيسير الآلوسي*

وهكذا وجدنا المسرح ينطق في استجابته التعبيرية عن مدرسة اللامعقول المعبرة عن "ورطة الإنسان في الكون" كما يقول جون رسل بتلر في معجم بنجوين للمسرح أو كما يشخصه ألبير كامو في أسطورة سيزيف بالقول: "إنَّ مصير الإنسانية يمثل [انعدام هدف في وجود غير منسجم مع محيطه أو لا معقول في بنائه حركته أو معطيات علاقاته بالآخر...]"

إنَّ مشكلة البحث في الهدف المنشود إنسانيا أو المصير المؤمل أو المنتظر أو المحتوم تكمن في وعي مبدعي الأدب والفن بأنَّه يظل هدفا أو مصيرا محكوما بالتأزم حدّ ضغط الانفجار وتلك هي الخصيصة التي ركز عليها مسرح الغضب والاحتجاج والقسوة الذي مثله النقد بأنبوبة غاز مضغوطة...

فيما يتسع مسرح اللامعقول لأمور أبعد من زاوية توصيفية، محددة بالشد والتوتر.. فصموئيل بيكيت ويوجين أيونسكو وآداموف وهارلود بنتر يمنحوننا فرصا للتعاطي مع شفرات مضمونية تتحكم بالشكل الفني لأعمالهم ومن ثم يمنحوننا قيما جمالية تحمل تناقضات وجودنا فنحن نستمتع بقراءة درامية بصرية تتناول واقعنا كما هو من جهة انشطاره وتقاطعه معنا وعليه هناك منطق في لا منطق التناول الدرامي أو بالأحرى في لا معقول التجربة المسرحية المقدمة ومعالجتها لعميق مأساتنا البشرية المعاصرة..

ولدينا إذا ما عدنا للحالة العراقية أكثر من توصيف ضغط أنبوبة الغاز حيث المشهد العراقي المليء بالحروب وأشكال السحق والاستباحة والاستهتار بكل وجود إنساني

** كتبت هذه المداخلة البحثية التخصصية مقدمة لمسرحية الكاتب المسرحي العراقي "**قاسم مطرود**" التي صدرت في كتاب بعنوان "**طقوس وحشية**"
((توفى يوم الجمعة 2012.9.7))

---

* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

وهو ما عاشه المبدع العراقي المسرحي وجسَّده بوضوح في أعماله وإن بتنوعات بوهيمية أحيانا كجزء من الاستجابة للوضع كما هو عليه..

ولقد أوجد مثل ذاك الوضع فسحة متسعة لمفاجآت الشكل الدرامي ليس للجمهور المسرحي حسب بل للنقاد أنفسهم.. حتى أن نقاد المسرح الإنجليزي أشاروا إلى أنَّ كتاب المسرح جعلوا من أعمالهم "مركز تجمع لصراع الخيال البشري الدائم ضد القناعة الدينية وعدم الاكتراث الخلقي والامّعية الاجتماعية" [مقدمة الدراما التجريبية، لندن، 63، صفحة 9 عن موسوعة المصطلح النقدي مج2 الصفحة 18] ما يلتقي معه دراما "طقوس وحشية" من جهة تكسير الثوابت والمطلقات والبديهيات المتكلسة كما سنرى في قراءتنا العمل ذاته..

ولعل هذا التمرد المزدوج شكلا ومضمونا يشتمل على التوظيف اللغوي الذي يتميز به مسرح اللامعقول حيث عميق الصلة والارتباط من جهة اللغة وهو ما يشبه رؤية إبسن بالخصوص في الخلق الشعري في كلام الواقع البسيط غير المستلب كما يعبر كينيث ميور في كتابه المسرح المعاصر [الصفحة113].. ومن جهة البناء والتشكيل تأتي حالة تعدد الشخوص منصبة في جوهر العمل الدرامي وكأنه مونولوجا يتشظى في التعددية الظاهرة أو الطافية بصريا..

ونحن سنقرأ شعرية العبارة عند قاسم مطرود ووحدة الشخصية في تعدديتها وتشظيها، مثلما سنتلمس كون ما يصادف جِدّة في الشكل سيصادف تجديدا في التناول حيث نجابه بموضوعة الالتزام طبعا ليس الحديث هنا عن الالتزام السياسي الحزبي المحض بل الالتزام بمسألة بعينها أي إيفاؤها حقها إذ ليس معنى افتقار اللامعقول الدرامي إلى الموضوع أو وحدته التقليدية وإلى الخاص بدل العام وبدل التعويم والتعميم بمتعارض مع البحث عن الأثر في المتلقي ومن ثم الكشف عن موقف جوهري لا يقل في المغزى الاجتماعي عن المسرح الواقعي الملتزم.. بل إننا يمكن أن نقول: إن العموم في اهتمامات اللامعقول بموضوعه هو ترشيح لثبات أعمق وأطول من تلك الأعمال التي تعكس واقعيا وبشكل مباشر موضوعها ما يجعلها عرضة للتقلبات السياسية منها والاجتماعية...

وهنـــا نستذكر القيمة الإبداعية لأعمال تسوق معطياتها الجمالية بمثل هذي الصياغة التي نجدها في طقوس وحشية وعدد من أعمال مطرود الأخرى.. حتى عندما نجابه بتلك الصعوبة في خلق التفاعل مع (التعاطف) مع شخصيات مسرح اللامعقول، لأنها دوما تحمل دوافع خفية وتصنع أفعالا بهالة من الضباب والعتمة وهو الأمر الذي يحتاج منا إلى نباهة التلقي والارتقاء للفعل إيجابيا في التفاعل مع تلك الشخصيات ومن ثم الانتقال إلى موضوعاتها ومقاصدها التي قد نُفاجأ في لحظة وصولنا إلى المنتهى الزمني للمسرحية حيث تبقى تلك الشخصيات تقدم وتفتح لنا آفاقا جديدة للتناول والمعالجة وحوارا جديدا يُخلق في دواخلنا لاتخاذ قرار بشأن لاحق مصيرنا أو تفاصيل غدنا ووقائعه المؤملة أو المنتظرة...

إنَّ مثل هذا التحليل هو ما يحيلنا لقراءة شبيهة بتلك التي أجراها نقاد المسرح الإنجليزي عند تناولهم مسرحي الغضب والعبث في ستينات القرن المنصرم وهم يشيرون في قراءاتهم إلى فساد المسرح عبر تكسير وحداته التقليدية بالقدر ذاته الذي وجهوا قراءاتهم إلى فساد العالم المنعكس على المسرح بلغتي الغضب واللامعقول بما يفيد الانتظام أو الانسجام بين الذي جرى تحطيمه واقعيا والذي جرى تصويره مسرحيا..

فلا مسرح اللامعقول يحطم اعتباطيا القوانين الحياتية وقوانين التعبير عنها جماليا ولا مطرود في طقوسه الوحشية يخرج اعتباطيا على قيمه. وفرق كبير بين الاعتباط والعبث هنا..

إنَّ "طقوس وحشية" تقدم تشخيصها لفساد العالم المحيط وقسوته كما هي مميزات دراما مسرح العبث في تعويضها بمشهد داخلي عن العالم الخارجي؛ حيث يغيب لأول وهلة ومن دون تمعنٍ التفريق الواضح بين الوهم والحقيقة ونجابه بموقف متحرر تجاه الزمن إذ يتمدد ويتقلص بحسب المتطلبات الذاتية..

فنحن نرصد هلامية في التحولات الشكلية ولكنها تظل محافظة على طاقة منحنا مفاتيح قراءة الاستعارات المنظورة ويظل الاستخدام اللغوي دقيقا في طقوس وحشية مثلما هو في مسرح العبث عامة لأن اللغة هنا هي الضابط الوحيد تقريبا لإيقاع المسرحية والمسيطر الأول على فوضوية تجربته..

لقد أكد هذا التصور العام في مسرح اللامعقول السيد مارتن أسلن في كتابه المعروف عندما عاد بنا إلى حيث الكوميديا ديللارتي وبريخت وآرتو وكافكا وجويس وهو ما كان مقبولا في النقد الإنجليزي؛ ولكن ما لم يكن مقبولا هو ابتعاد السيد أسلن ليقول إن لدى شكسبير وغوته وأبسن بشارات اللامعقول أيضا والرفض ينأتى من موقف كلاسي في الاحتجاج على أن يكون الأوائل الكلاسيون الكبار جذورا وأرضية مؤهِّلة أو مقدمة لظهور التالين وهنا القصد لمدرسة اللامعقول حيث بيكيت ويونسكو...

ولكن، لِمَ لا يكون مبدع معاصر له من الأثر الإبداعي ما يضارع أو يتجاوز القديم والأقدم؟ ولماذا نضع التعارض بالضد من التطور التصاعدي؟ ولماذا نُسقِط القدسية على الأول ونمتهن أو نعتدي على حق الحديث والمعاصر؟

علينا لنثبت قيمة نقدية أو جمالية أن نأتي بما ينبغي أن يؤكد ما ذهبنا أو نذهب إليه..

وبالخصوص فقد انصب جزء من النقد على ضبط الحبكة والبحث عن مقدار الاهتمام بها وعن توصيف الشخصيات العبثية بأنها دمى آلية وهو أمر بحاجة إلى نظر.. إذ اللامعقول خرج على آلية تعبيرية تعكس في الغالب أحلاما وكوابيس هي صيغة [جمالية] فرويدية في التعاطي مع المحيط أو بجملة أخرى صيغة إعمال الوعي الباطن في معالجة حيواتنا حيث يجري هنا إظهار اللامعقول إلى الوجود والتجسيد الحي على الركح ليوضع أمام بصرنا وبصيرتنا بعيدا عن تنميقه باللغة المعقولة الكلاسية العتيقة...

إن لغة مطرود وبنيته في "طقوس وحشية" تتمثل هذا التوصيف بوضوح فعندما ننتهي من القراءة سنجد معنى الكابوس ومعنى لغة تحوم في عالم اللاشعور والعقل الباطن.. فطقوس وحشية لا تتخلى عن التزام جوهر النقد لجوهر الوجود الإنساني وليس للعارض فيه.

يتبع في العدد القادم

سينما

السعفة الذهبية 2026 لفيلم "فيودا".. تصوير للصراع بين القيم التقليدية والتقدمية

فاز المخرج الروماني "كريستيان مونجيو" بجائزة السعفة الذهبية لمهرجان كان السينمائي عام2007 ، عن الدراما الرائعة "4 أشهر، 3 أسابيع، ويومان" ، ومنذ ذلك الحين وضع بصمته . عاد المخرج الروماني إلى المسابقة الرسمية هذا العام ليخطف سعفته الذهبية بفيلمه السابع "فيورد" في أول ظهور له باللغة الإنجليزية، وعند صعوده إلى المسرح قال :" إن حالة العالم ليست الأفضل، وأنه غير فخور بما يتركه جيله لأطفاله، وأن شيئا ما يجب أن يتغير " .

في " فيودا" يأخذنا " مونجيو " إلى جمال المضايق النرويجية الجليدية لسرد دراما ولدت من توثيق حقيقي للصراع بين الرؤى التقدمية والتقليدية للمجتمع . الفيلم من بطولة" سيباستيان ستان " و"رينات رينسفي"، يبتعد الفيلم عن اليقين ليضع المشاهد في منطقة من الشكوك حول التعليم والإيمان وحدود تدخل الدولة في الحياة الخاصة. مسيرة المخرج" كريستيان مونغيو " في كان هي مسيرة مخرج استطاع تحليل الشقوق في المجتمع الروماني بدقة شبه جراحية. ومع ذلك، مع فيلم " فيورد، يتخذ المخرج خطوة جريئة بجعل نظرته دولية، محافظا على الصدق الذي يميزه. لا يسعى في طرحه للحكم، بل لفهم كيف أصبحت رؤانا الشخصية متطرفة لدرجة أننا ننتهي بكره من يفكرون بشكل مختلف .

الفيلم مستوحى من أحداث حقيقية ويستند سرد الحكاية إلى عدة صراعات تتعلق (ببارنيفرنت)، أو "الخدمات الاجتماعية" في النرويج ، النظام النرويجي لحماية القصر، وخاصة فـــي حالات العائلات المهاجرة التي فصلت عن أطفالها بسبب ممارسات غير مقبولة في بلد الاغتراب وبسبب إختلافات ثقافية أو دينية أو تعليمية . من هناك يبني خيالا لا يتعلق كثيرا بمعرفة ما حدث بالضبط، بل بالسؤال عن من له الحق في تقرير ما يحدث داخل الأسرة . يضعنا الفيلم في قرية نرويجية صغيرة، في أسفل مضيق، حيث تعيش عائلة جيورجيو ، ميهاي، الذي يلعب دوره" سيباستيان ستان"، روماني وزوجته ليسبيت، التي تلعب دورها" رينات راينسفي"، هي نرويجية، لديهم خمسة أطفال وحياة تتسم بإيمان مسيحي صارم جدا، مع قواعد صارمة، عدم الاتصال بالتكنولوجيا ، الألتزام بالصلوات، والانضباط أفكارة مغلقة إلى حد ما عن ما يجب أن تكون عليه الأسرة. هما آباء محبون، لكنهما أيضا سلطويون .ينفجر الصراع عندما تكتشف علامات على جسد إحدى البنات في المدرسة. تتدخل الخدمات الاجتماعية النرويجية ، وتبدأ الإجراءات . حين يتم فصل الأطفال الخمسة عن آبائهم، بما في ذلك الطفل الرضيع ، وتدخل الأسرة في متاهة قانونية حيث لم يعد يناقش فقط ما إذا كان هناك إيذاء جسدي، وفيما ما إذا كانت تلك الأسرة قادرة على تعليم أطفالهم وفقا لقيم تتعارض مباشرة مع قيم المجتمع النرويجي المنفتح . تبدأ في التساؤل عما إذا كانت التربية التقليدية والدينية المتشددة للوالدين هي سبب هذه الجروح . إنها

نقطة انطلاق للصراع، رغم أن الحكاية تدور أحداثها في مناظر اسكندنافية، إلا أن صداها يتردد في أي مجتمع مدني معاصر يتسم بالتباين بين الفكرالتقدمي والمحافظ المتشدد . الفيلم تميز في قدرته على التعامل مع قضايا الضمير والقيم الإنسانية بحساسية استثنائية.

علي المسعود

إنها سردية عن الهجرة، والأندماج والصراع الثقافي ، وديمقراطية التعبير، وكيف أن هوياتنا تهتز في عالم معولم بقوى لا يمكننا دائما السيطرة عليها . ويكشف عن على براعة المخرج مونغيو في "التقاط التوتر الخانق للصراع الثقافي دون الوقوع في الشعارات " .

خلال المؤتمر الصحفي في مهرجان كان السينمائي ، كان المخرج "مونغيو " واضحا جدا بشأن نواياه: " نحتاج إلى الحفاظ على حريتنا في التعبير عن الشكوك حول أي نوع من القضايا، بما في ذلك الأكثر حساسية". تقدم الحبكة عالم حاسوب روماني يقرر الانتقال مع عائلته (زوجته وأطفاله الخمسة) إلى المنزل الذي حصلت عليه زوجته الإسكندنافية كميراث. التي تحاول بمظهر من الهشاشة والسلبية الدائمة أن تندمج مع حي يشع بالود والأفكار الحديثة للوهلة الأولى . بدا المكان المثالي لانتقال سلمي، رغم التناقضات الدينية الحتمية . ومع ذلك، فإن الانسجام الظاهر يتلاشى عندما تصطدم القيم الكاثوليكية التقليدية للعائلة مباشرة بمجتمع علماني. مجتمع يتفاخر بالتسامح المطلق، لكنه لا يتردد في تطبيق القوة المؤسسية لفرض عقيدته، مقتنعا بنزاهة أخلاقية . وهكذا يجرنا "مونغيو" إلى مستنقع بيروقراطي ساحق، حيث يجد الوالدان نفسيهما غير محميين بقوة هيكل لا يهتم بوضعهم . تحدث المخرج عن رؤيته قائلاً :

"أحب أن أتحدث في أفلامي عن قضايا أعتبرها مهمة في مجتمعنا العالمي والمعاصر، وأعتقد أن أحدها هو الصراع بين القيم التقليدية والتقدمية. كل هذا يؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى مجموعات من الناس

* كاتب عراقي

تتمة ص التالية

الذين يكرهون بعضهم البعض حقا. أنا لا أتحدث فقط عن رومانيا أو النرويج، بل نراها أيضا في دول مثل فرنسا أو الولايات المتحدة. نحن نعيش في مجتمع منقسم للغاية حيث لا يجد الناس وقتا لفهم من لديهم آراء مختلفة. أعتقد أن الخطوة الأولى لفهم بعضنا البعض هي الاستماع وربما الشك في أن الشخص دائما على حق في كل شيء . إذا كنت تعتقد أن قيمك جيدة، حاول الإقناع بها ولا تفرضها ".

من الناحية التقنية، يحافظ المخرج الروماني في فيلمه " فيورد "على أسلوبه الواقعي والمباشر . صور الفيلم على الساحل الغربي للنرويج، من ألسوند إلى مضيق سترانداً، ويستخدم الفيلم المشهد الطبيعي ليس كزينة، بل إنعكاس للعزلة والبرودة التي تستقر أحيانا في العلاقات الإنسانية. بصريا، الفيلم جذاب ، تم تصوير الفيلم في مناظر طبيعية برية مغطاة بالجليد لا يمكن الوصول إليها إلا بالعبارة فقط، وابدع المصور" تيودور فلاديمير باندورو" في نسج صور من الخريف والإنتقال إلى الشتاء والربيع، معلنا مرور الزمن في قصة تغلي ببطء .

"فيورد"، فيلم مقلق عن الصدمة الثقافية

تظهر قصة العائلة المتشددة والتي لا ترغب في الاندماج في المجتمع النرويجي المنفتح. ومع ذلك، أراد المخرج أن يوضح أن "الفيلم ليس عن صراع بين النرويج ورومانيا، بل هو شيء أكثر تعقيدا". وأكد أنه منذ أن بدأ يهتم بهذه القضية، تم تعديل التشريعات النرويجية لأن السلطات أدركت أن هناك شيئا خاطئا. ما يثير الأهتمام في "فيورد" هي الأسئلة التي يثيرها. ماذا يجب أن يفعل المجتمع المتسامح مع من لا يشاركونه قيمه في التسامح؟، إلى أي مدى يمكن للدولة أن تذهب لحماية الأطفال القصر؟ ، المخرج "مونغيو" لا يعفى الوالدين، لكنه لا يقبل أيضا أن تكون الدولة مجحفة في قرارتها. يمكن أن يعاني الزوجان ميهاي وليسبيت من الظلم، نعم، لكنهما بنيا منزلا جدرانه الخوف والشك . حيث يبدو موقف رب الأسرة أقرب إلى الجماعات المتطرفة التي تحيط بالقضية وتستخدمها لغاياتها . الرومانيون أرادوا أن يصل صوتهم بمساعدة منظمات مستعدة لتحويل أي صراع إلى حرب ثقافية، ومضايقة وتخريب، واستخـــــــدام الشبكات الاجتماعية لفرض قصتها، حتى لو لم تكن تلك القصة صحيحة ، ويتم التلاعب بالمجتمع عاطفيا، ويتحول وضع عائلي معقد إلى دعاية .

هناك أيضا جانب آخر للفيلم ، قراءة عن كراهية الأجانب . تظهر النرويج كمجتمع نظيف، منظم، مهذب، لا تشوبه شائبة. لا توجد حشود أو إهانات أو عنف صريح ضد الأجانب.

"مونغيو " لا يسعى أبدا لتصنيف معسكر الخير مقابل معسكر الشر . إنه يعكس نظامين مقتنعين بأنهما يتصرفان للحماية، وهما الأسرة والمؤسسات . شكلان من السلطة، ورؤيتان للعالم، وطريقتان لفهم الطفولة أيضا — ومع ذلك ينتهي بهما الأمر إلى إنتاج الخوف، وعدم القابلية للتواصل، والحرمان . الهروب الأخير للوالدين الى منفي جديد دون أي اعتبار حقيقي لما يشعر به الأطفال في بلد الأغتراب، وراء القناعات الأيديولوجية والدينية والثقافية التي تتصادم، فيلم ذو كثافة ملحوظة، وأحيانا برودة خانقة، يؤكد أهمية "كريستيان مونجيو" في المشهد المعاصر، صانع أفلام قادر على تحويل الانقسامات الأخلاقية والسياسية في أوروبا اليوم إلى معضلة إنسانية مذهلة .

المخرج "مونغيو " بدأ في البحث لهذا الفيلم قبل أربع سنوات ، وتحدث إلى العديد من الأشخاص في النرويج المتورطين في قضايا مثل تلك المطروحة في الفيلم، من ضباط الشرطة إلى القضاة والمحامين وأعضاء المنظمات غير الحكومية أو الصحفيين، وجمع بين العديد من التفاصيل حول أحداث مختلفة لبناء قصة الروماني جيورجيو . المخرج تعمد الغموض في سرد حكاية الفيلم، ويبرر" مونجيو" ذالك قائلاً : "الحياة غامضة، وإذا صنعت أفلاما مبنية على الواقع، يجب أن يحافظ الفيلم على هذا النوع من الغموض ، لا أؤمن بالأفلام التي تخبرك بـــما يجب أن تؤمن

به ، ولا أعتقد أن السينما يجب أن تفعل ذلك، بل تجعلك تعيد النظر في آرائك" . هذا ما مايفعله مونغيو في "فيورد"، حيث يسأل المشاهد نفسه ويسأل من هو على حق: النرويجيون التقدميون الذين يطبقون القانون على عواقبه النهائية أم المحافظون الرومانيون الذين لا يريدون الاندماج في مجتمع حديث .

شرح المخرج رؤيته في مؤتمر صحفي في مهرجان كان حين أضاف : "ما يحدث مع الأحزاب اليمينية المتطرفة هو رد فعل ما حدث سابقا مع الأحزاب اليسارية المتطرفة، لأن كل أحزاب تريد فرض رؤيتها وينتج التأثير المعاكس لما نريده". يكمن ذكاء المخرج في رفضه المستمر تبسيط المواجهة. من ناحية، تبدو المؤسسات النرويجية جامدة، وأحيانا متعالية، محبوسة بلغة إجرائية تحول الوحدة الأسرة بسرعة إلى موضوع للتقييم الأخلاقي. المحاكمة المدنية الطويلة التي تشكل الجزء الثاني من الفيلم تثير الإعجاب بدقتها المخيفة، حيث يبدو أن كل كلمة تزن وتحلل وتفسر. في هذا الفضاء البيروقراطي حيث يجب تسمية كل شيء وتصنيفه وترجمته .

"هناك صراع واضح بين تلك القيم التقليدية والقيم التقدمية، وهذا يؤدي إلى انقسام في المجتمع بين مجموعات من الناس الذين يكرهون بعضهم البعض. نقول إننا نعيش في عالم عالمي لكننا فعلا منقسمون،" قال المخرج. يستخدم مونغيو تحليلا مشرطا للعلاقات الاجتماعية، والتحاملات الأخلاقية، والشك تجاه الأجانب والدين، بالإضافة إلى الآلية الإدارية التي تميل إلى العبثية. يكشف عن الحياة بكل تعقيدها، مع اللاعقلانية والغموض في الواقع. في النهاية ، الفيلم يقدم رسالة شمولية للتسامح .

***

إضاءات أدبية

رامبو: الحياة في الشعر .. والشعر في الحياة
رامبو: و ((تحرير الحواس))

(2)

مؤيد جواد الطلال

غير أن أحداً من الكُتّاب العالميين لم يستفض في الإشادة برامبو ويعملقه, كما فعل الكاتب الأمريكي المعروف { هنري ميللر } حين تساءل: "لماذا أعبد (رامبو) فوق الكُتّاب الآخرين؟ ,,لست شغوفاً بعبادة المراهقة, ولا أقول لنفسي إن رامبو عظيم, شأن كتاب آخرين قد أشير إليهم. لكن شيئاً فيه هزني أكثر مما فعله أيّ شخص آخر''.

خاتمة الحلقة السابقة

وأتيته عبر ضباب لغة لم أسيطر عليها, البتة ! والحق أنني لم أدرك قوة كلماته وجمالها إلا حين حاولت, بكل حماقة, أن أترجم في رامبو, أرى نفسي, كما لو كنت أنظر في مرآة ولا أجد أي شيء قاله غريباً عني, مهما كان وحشياً, أو غير معقول, أو عصيّاً على الفهم. ينبغي أن تستسلم كي تفهم عمل شخص ما. وقد قمت بهذا الاستسلام منذ اليوم الأول الذي نظرت فيه إلى عمله. قرأت أبياتاً قليلة ذلك اليوم, قبل عشر سنوات أو نحوها, وأبعدت الكتاب جانباً, بعد أن وجدتني أرتعش كالورقة. وتولد لدي أحساس آنذاك, وما يزال يلازمني, بأنه قال كل شيء عن عصرنا. بدا لي كما لو أنه نصب خيمة في الخلاء. كان الكاتب الوحيد الذي قرأته, وأعدت قراءته, بفرح واهتياج عارمين, دائماً, وكنت أكتشف, على الدوام, شيئاً جديداً فيه, وأهتز, بعمق, على الدوام, لطهره. كل ما أقوله عنه, ليس سوى محاولة, ومداخل – ليس أكثر من لمحة. إنه الكاتب الوحيد الذي أحسده على عبقريته, أما الآخرون جميعاً, مهما كانوا عظماء, فلن يستثيروا غيرته ."

وهكذا لو أراد أي باحث الحديث أو الكتابة عن أهمية (رامبو) – وخاصة نقطة التماس بين حياته الشخصية وتجربته الشعرية - وذهب إلـــــى بطون ومتون الكتب وسطور المجلات الأدبية المختلفة, ونبش في السير الذاتية, وتجول في المواقع الالكترونية .. الخ لألف كتاباً كاملاً في هذه الفقرة الغنية (المهمة) من مجموع الفقرات الكثيرة التي ميزت شعر رامبو) وأعطته هذه النكهة والحيوية والقدرة على الإدهاش والإبهار. لكن ما يشغل ذهني في مجمل هذه القضايا الإشكالية هو قضية الوحي والإلهام أو الرؤيا التي أصبحت قضية مركزية في أدب وحياة (رامبو) أكثر من شعراء وادي عبقر, وكل شعراء لغات الكرة الأرضية !!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بإلحاح كبير هو: إذا كان الشخص / الشاعر مثلاً, أو الإنسان المُلهم, الذي يُوحى إليه الشعر – كما يزعم (رامبو) ومحبوه أو بعض مفسري ظاهرته الشعرية العجيبة الغريبة حقاً – فلِمَ يسعى الشاعر ويجهد نفسه, ويواجه صنوف العذاب, من أجل أن يكون رائياً ومتنبئاً ؟؟ إنّ الإجابة على سؤال كهذا سيطرح على بساط البحث قضايا إشكالية أخرى, ومجموعة تناقضات, وتساؤلات لها أول وليس لها آخر. وقبل كل شيء علينا أن نلقي الضوء أو نتعرف على نظرية ((الرائي)) ونظرية الشعر التنبؤي التي وضعها (رامبو) ونظّر لها كُتّاب عدّة تناولوا سيرة حياة (رامبو) وشعره, وما هي الوسائل التي أتبعها (رامبو) لتحرير حواسه كوسيلة ليغدو شاعراً متميزاً .. حيث تفيد هذه النظرية بأن ((مُشاهدة ما لا يُرى, والإصغاء إلى ما لا يُسمع يتطلب طاقة فذة من معدن غير معدن الأرواح الميتة التي تستشرف بها الأشياء عادة.

وإنّ مثل هذه الطاقة الفذة لا يمكن أن توجد إلا عند شاعر راءٍ مثل رامبو))، كما أشار << بول إيلوار <<من قبل .قضية تحرير الحواس ولكن كيف يصل الشاعر إلى مرحلة الرؤيا ويغدو رائياً ؟؟ وهل وسيلة تحرير الحواس من الشروط الأساسية لذلك ..فهل كانت علاقة (رامبو) الشاذة مع صديقه الشاعر ((فرلين)) وسيلة أم غاية ؟ إذ أن الشاعر الرائي – رامبو مثلاً – لا يكتفي بأن يكشف لنا عن الأشياء الغريبة والطريفة ؛ لأنه يريد أيضاً أن يحرر حواسنا.

إنه لا يجدد فقط الصور, بل وأيضاً طريقتنا وأسلوبنا في معاينتها. إنه يغيّر حاسة الرؤية ذاتها. إنه يدرّب خياله عـــــلى اكتشاف الرؤى

الشعرية, واقتناص الصور المجازية ورسم ما لا شكل له وإسماعنا ما لا صوت له ... ولذلك فإن (رامبو) لا يكتفي بالنظر إلى الأشياء الخارجية, بل يمزق الغشاء الكثيف وينفذ إلى الجوهر, حيث تكمن الاستعارة الفنية ليخلق لنا أغرب وأجمل وأحدث الصور؛ إذ تتراءى له الغيوم مثل ((عربات على دروب السماء, أو مدرسة من طيور صنعها ملائكة)) .. وهو حين يحدق في قاع بحيرة, مثلاً, ماذا يرى ؟! يشاهد غرفة استقبال. إنه يعثر على العجائب والغرائب في كل مكان. وكل مادة تتحول تحت عينيه إلى جوهرة فريدة. إذ إن أقل مشهد وأتفه عنوان وأبسط حادث .. الخ, يصبح تحت نظرته الشاعرية غنيّاً مكتنفاً بالأسرار الغامضة المغرية, ويشكل حافزاً لخياله الجموح, فيمضي يشيّد حوله التصورات المذهلة .ولذا فإن الحروف الأبجدية تستدعي وتستلهم الألوان, والألوان بدورها تصبح رموزاً للعاطفة, والعاطفة تتداخل مع الطبيعة والحياة فتغدو كرنفالاً شعرياً مدهشاً وفائق الحساسية, أو عرساً من الألوان والروائع تسكر حواسنا.

ولعلنا نستطيع القول دون مبالغة إن (رامبو) هو المؤسس الفعلي لمدرسة الوصف الشعري, رمزية الطابع .. المدرسة التي بلغت ذروتها في شعر سان جون بيرس .كما أن الرواية الفرنسية الجديدة, والتي تُسمى أحياناً بالرواية المضادة, هي الأخرى تستعين من العين الرامبوية بعدها التحليلي التشبيهي– الرمزي خاصة – الذي يعتمد على المجاز والاستعارات المدهشة, والالتصاق الحسي العنيف بالمكان (الشيئية / التشيؤ) ... وربما ترك رامبو أثره على الأدب الفرنسي عامة,

---

* مؤيد جواد الطلال كاتب عراقي مستقل مقيم في سورية.

تتمة ص التالية

رامبو: الحياة في الشعر .. والشعر في الحياة

بما في ذلك مارسيل بروست, خاصة في تحفته الرائعة: البحث عن الزمن الضائع .ارتباط الشعر بالحياة ولكن هل ثمة شروط وجهود على الشاعر أن يبذلها ويحققها ليكون رائيّاً أو ليصل إلى مرحلة النبوة ؟؟ كتب (رامبو) في سيرته الذاتية التي ضمنها نظريته في الشعر وأسماها ((فصل في الجحيم)) ما يلي)) - :

....إنّ أول دراسة للإنسان الذي يريد أن يكون شاعراً هي معرفة ذاته كاملة, أن يبحث عن روحه, يرصدها, يمتحنها, يتعلمها. ما أن يعرفها حتى يتوجب عليه أن يربيها. هذا يبدو سهلاً: ثمة نمو طبيعي يتم في كل دماغ, كم من أنانيين يعلنون أنفسهم مؤلفين ؟ يوجد كثيرون غيرهم ينسبون إلى ذاتهم الفضل في تقدمهم الفكري ! – يجب أن نجعل روحنا مريعة أسوة بآكلة لحوم البشر, ماذا تصوروا رجلاً يزرع ويربي دمامل على وجهه...

إنّ الشاعر يستقي مادة قصائده من اختباراته الشخصية. كلما عاش تجارب روحية عميقة وفذة, كلما اغتنى شعره. إنّ السكر والمخدرات والتهتك الجنسي قد تكون وسيلة لأن تهز كياننا, وتتيح لنا أن نمرّ بحالات نفسية عنيفة وفريدة من نوعها تخرجنا عن المألوف, وتقودنا نحو عالم خارق للعادة تخصب فيه وحدة الجمال ! فهل كان رامبو يستخدم التهتك الجنسي كوسيلة لتهز كيانه وتحرر حواسه ؟؟ يجب أن يفجر الشاعر كل الطاقات والنزعات والانفعالات الثاوية في أعماقه, وهذا لا يتم له إذا ظلّ غارقاً في رتابة حياة متزنة هادئة ورهينة / مرتهنة ... يجب أن يجوب كل مناطق نفسه الدفينة, ويروض كل إمكاناته الداخلية, ويتغلغل إلى كل أصقاعه الباطنية, إذا أراد حقاً أن يبلغ ذروة الإبداع. وهذا ما لا يتوفر له ما لم يخضع لكل الهزات العنيفة, ما لم يتجرّع كل الكحول القوية, ما لم يبتلع كل السموم القاتلة .. .. يجب أن يعزف كل ألحان نفسه إذا أراد أن يكون فناناً كبيراً بحق, وهناك بعض أنغام غامضة ومستترة وبعيدة الغور, تحتاج إلى أوتار سحرية وخطرة كي ترجع أصداءها وتفضي بمكنونها وتعطي كل تموجاتها. إنّ هناك أبواباً في نفسنا مفاتيحها, في يد السكر والعربدة, التشرد والفوضى, الخروج على التقاليد والتمرد على القوانين والأعراف. بما أن الشاعر مضطر - إن أراد بلوغ الكمال - أن يشرع كـــــل مصاريع ذاته, فهو مرغم بالتالي إلى فض كل أقفاله الداخلية مع ما يتضمنه ذلك من تعرض للمجازفات الرعناء والمهالك الفظيعة...)) - :

إني أفسد خلقي إلى أقصى المستطاع. لماذا ؟

أريد أن أصبح شاعراً, وأنا أعمل على أن أجعل من نفسي رائياً ... الشاعر يجعل من نفسه رائياً بواسطة تشويش طويل, هائل ومنهجي لكل الحواس. كل أشكال الحب, الشقاء, الجنون, إنه يبحث بنفسه عن كل السموم ويستنفذها في داخله لكي لا يحتفظ منها سوى بالجوهر. عذاب لا يوصف يحتاج إلى كل الإيمان, كل القوة الفائقة للطبيعة الإنسانية, حيث يصبح بين الجميع المريض الكبير, المجرم الكبير, الملعون الكبير – والعارف الأعظم ! – إذ أنه يصل إلى المجهول ! بما أنه قد ربى روحه الفنية أصلاً, أكثر من أي شخص آخر ! .... إنه يصل إلى المجهول طائش اللب, وعندما ينتهي بأن يفقد الإدراك لرؤاه فأنه يكون قد رآها ! ليمت في وثبته عبر الأشياء التي لم يسمع بها, والتي لا تُسمى: سوف يأتي فعله آخرون فظيعون, سوف يبدأون من الآفاق التي هلك بها الآخر (... ! وهو إذ يُحدّث صديقه (أرنست دلاهاي) عن النظرية الشعرية التي يرهص بها, عن الإحساسات الجديدة والعواطف القوية التي ينبغي أن ينقلها بوساطة الكلمة, فإنه يطلب المزيد من المشاهدة والشعور, المزيد من العواطف المرهفة, وإيقاظ هذه العواطف عبر المهيجات والروائح والسموم التي تستنشقها العرافة. إنه يريد بأي ثمن أن يوقظ إيقاع الحياة الغافي فيه. أن يعيش بزخم وحمى وحماس .. إنه يطلب الزمن العنيف الخطر المليء بالإثارة .فهل من الشروط التي ينبغي أن يحققها الشاعر ليكون متميزاً, واستثنائياً, ورائياً, هي التمرد على القوانين الاجتماعية السائدة ؟؟ فوضى الروح المقدس: طريق الثورة الشاملة إذا كان الواقع صلباً وجدارياً, وإذا كان نظام الواقع والمجتمع ميكانيكياً وتقليدياً آسناً, فإن تدريب النفس على التغيير والتحول الجذري .. تدريب النفس على الهلوسة والهذيان والتدمير المنهجي للحواس وتحريرها – من المهام الأساسية للشاعر الذي يريد أن يصبح رائياً؛ لأنها وحدها المؤاتية للإلهام والإبداع الشعري كما يظن(رامبو) . وهـذه بعض صـور الفوضى الروحية التـــي وجدها (رامبو) كشيء مقدس :في مطلع رسالته إلى ((جورج أزامبار)) التي يعرض فيها نظريته حول الرؤيا الشعرية, يهزأ (رامبو) من أستاذه الذي رفض أن يعمل مُدرّساً خاصاً عند عائلة روسية غنية, وآثر البقاء في مهنة التعليم في فرنسا, وبذلك تخلى عن حياة المغامرة والسفر المليئة بالشاعرية في نظر (رامبو), ليحافظ على مركز ثابت ومستقر في بلده. إن الفرد مدين بمعيشته للمجتمع, الذي عليه بدوره أن يؤدي لأعضائه خدمة نافعة كي يستحق المساعدات التي يتلقاها منهم. إن الأيدي المنتجة تقدم له الطعام والكساء والمأوى, وكل ما من شأنه أن يعينه في المحافظة على بقائه. وهو, من جهته, مُلزم ببذل مجهود ما .. مُلزم بالإسهام بقسط في ورشة العمل المشتركة, التي تسيّر عجلة الحياة, وتصون كيان المجتمع, وتكفل له أسباب الاستمرار .بهذا المعنى فإن أستاذه ((أزامبار)) هو جزء من الهيئة التعليمية. إنه يمارس مهنة نافعة معترف بها من جميع الناس, تضمن له حياة رغيدة مستقرة, وتؤمن له رزقه بأشرف أسلوب. إنه أحد أبناء المجتمع الطيبين الذين يسلكون الطريق القويم, وينهجون النسق المعيشي المكرس للصالح والمفيد في نظر الآخرين. لكن (رامبو) يخاطب أستاذه هذا, في رسالته آنفة الذكر, بشيء من التحدي والاستفزاز, والنية الواضحة في إثارة حفيظته, وافتعال فضيحة, مدعيّاً أنه = أي رامبو = هو الآخر يقوم بطريقة ما بوظيفته في هذا المجتمع, ويضطلع بمهمات معينة مثل إفساد أخلاق تلاميذ المدرسة بما يرويه عليهم من قصص بذيئة وخليعة, شريرة وغبية, يختلقها خصيصاً لأجلهم, محاولاً أن يكون قدوة سيئة لهم بأقواله وأفعاله. وأنهم ليدفعون له أجرة مقابل ذلك, وجزاء التسلية التي يقدمها لهم بدعاباته الصاخبة الإباحية, وتصريحاته المتهورة النزقة, وتصرفاته الهوجاء, بأن يسددوا عنه فاتورة الحساب في المقاهي, ويتحملوا عنه عبء كؤوس الجعة والخمرة التي يحتسيها بشراهة ! إنّ هذه الفقرة من رسالة رامبو إلى ((أزمبار)) تتوافق مع تلك الفترة من عمر الشاعر التي كان يُرى فيها مُتسكعاً في شوارع ((شارلفيل)), وقد استطال شَعره:

((ألم يسمع في باريس أن ما يميز الشعراء البارناسيين ليس موهبتهم بل طول شَعرهم ؟!)), واتسخت ثيابه, ومضى يطلق عبارات التهكم والسخرية أمام المقاهي والكنائس,

حلقة 3 يتبع

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 01 تموز 2026

مستقبل العراق

الديموقراطية على الطريقة الأميركية

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.